تنبيه

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

عدد ممتاز

أوجه الإعجاز في الأمر بأخذ الكتاب بقوة

د. زغلول النجار 4

حقوق المسلم : أحكام ومقاصد ووظائف

د. لخضر بوعلي 6

المدير المؤسس
المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المحجة

جامعة نصف شهرية

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

10 جمادى الأولى 1433هـ – 02 أبريل 2012م

العدد : 377

4 دراهم

افتتاحية

الصناعة الثقيلة والصناعة الأثقل

يظهر من تقدم المجتمعات والأمم أن حضور الصناعة أمر لازم في كل حركة في اتجاه الأحسن، وكلما اتجه الفعل الصناعي نحو أصول الصناعات ومبادئها نظرا وتطبيقا تحقق المقصود واختصرت الجهود، وأدركت الأمم المعاصرة قيمة الصناعات وبالأخص الصناعات التي يصطلحون عليها بالصناعات الثقيلة أو الصناعات التحويلية التي تقوم بتحويل المواد الخام المهملة في الكون إلى مواد قابلة للتوظيف والاستخدام الأمثل.

لكننا كثيرا ما نَغْلط أو نُغَلَّط ونُغَلِّط أيضا حينما نحصر تقدم هذه الأمم في حسن تدبيرها لهذا المجال المادي، غافلين عن أن الصناعة الثقيلة لا ولن تتحقق إلا إذا سبقتها صناعة أسبق منها في الزمان وأثقل منها في الميزان: إنها صناعة الإنسان، وتحويل طاقاته الخام الكامنة فيه إلى طاقات قابلة للتوظيفات المحمودة والاستعمالات المعقولة.

إن التأسيس لمجتمع قوي صناعة وفلاحة وتجارة يحتاج إلى إعداد وتأهيل علماء في العلوم المادية للاقتدار على الإبداع العلمي، ويحتاج الأمر قبل ذلك إلى إعداد علماء في التخطيط الإداري والتدبير، ويحتاج قبل كل ذلك إلى تكوين الإنسان وتأهيله أخلاقيا وتربويا تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا في كل المجالات والميادين والتخصصات، وهذه هي الصناعة الأثقل!

نعم إن تقدم المجتمعات رهين باعتماده على مشاريع الصناعات الثقيلة وتوابعها، ولكن هذا الأمر ليس إلا نتيجة لعمل أقوى وأقوم، ولجهد أكمل وأمثل وأثقل إنه جهد صناعة الرجال وصناعة الرواحل، وتكوين العقول المفكرة بالحق وفي الحق، والألسنة المعبرة بالخير وعن الخير، والأيادي المسخرة للتدبير الأفضل بالإخلاص والصدق.

كل أمة لا تقوم نهضتها ولا تستمر في وجودها وتقدمها إلا بوجود رجال أقوياء أمناء، علماء عاملين في كل التخصصات والمجالات، يحملون همها بروح من الوعي العميق والغيرة الحكيمة والصبر الدؤوب.

البقية ص 2

الأدب الإسلامي بين حكمة الشعر وسحر البيان

من مواد العدد

تفكيك «الدولة الوطنية» : وقائع مكشوفة

ذ. زين العابدين الركابي 17

الرغبة في القراءة

د. عبد الكريم بكار 22

معالم من منهج السلف في تعليم القرآن الكريم

د. أحمد شكري 18

أول مجلة صحية مغربية باللغة العربية

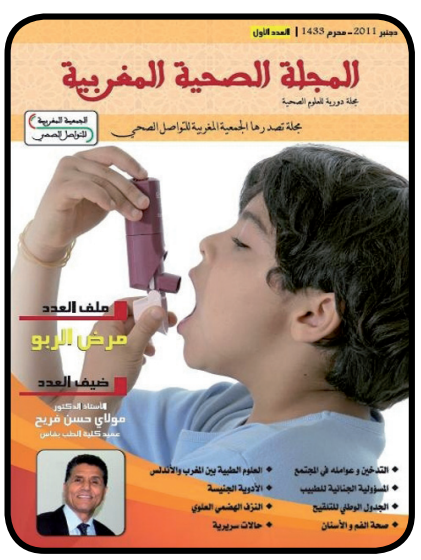

الإيمان ركن أساسي من الدين الشامل

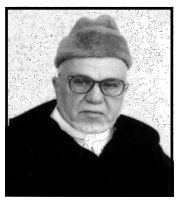

المفضل فلواتي – رحمه الله تعالى

حديث جبريل عليه السلام لم يتضمن التعريف بالإيمان فقط، ولكنه تضمن التعريف بالإسلام، والإيمان، والإحسان، وأشراط الساعة، ليكوِّن مجْمُوع ذلك «الدِّين» بإيمانه الباطني، وإسلامه الشامل لكل الأعمال الصالحة سواء تعلق الأمْرُ بأركان العبادات، من صلاة وزكاة، وصوم، وحج، أو تعلق الأمْرُ بإقامة الشريعة في مجالات المعاملات، والحدود والجزاءات، أو تعلق الأمْرُ بالفضائل والأخلاق والسلوكات إلى غير ذلك مما هو من صميم الإسلام الذي يُفْصِح عن مكنون الإيمان المستقر في القلب.

أما الإحسان فهو عبارة عن إتقان الإخلاص في كل عمل من أعمال الإسلام سواء كان صلاة أو زكاة أو صياماً، أو صدقة أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو قياماً بدعوة، أو دفاعاً عن مظلوم..

أما التعريف بأشراط الساعة فهو عبارة عن التوعية بالأخطار المحدقة بالدين إذا لم نَقُم بحراسته من أصحاب الهوى الذين يعملون على خدمة مصالحهم الخاصة سواء باسم الدين، أو باسم التجديد للدين، أو باسم تحييد الدين أو باسم تشويه الدين، أو باسم المحاربة الصريحة للدين.

فكلٌّ من الإيمان والإسلام والإحسان وإدراك الأخطار المستقبلية يُكوِّن مجموع العناصر الأساسية للدين، والتفريطُ في جزء من أجزاء الدين أو عنصر من عناصر الدين الأساسية يكوِّن ثَغْرة في الدين، كلما تباطأنا في سَدِّها وترميمها وإصلاحها أعقبتْها ثغرة أخرى، فأخرى، فأخرى.... إلى العُرْوة الأخيرة التي هي الصلاة، والتي إن انتَهَتْ كان ذلك إيذانا بقيام الساعة ﴿وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثمَّ لا يَكُونُوا أمْثَالَكُم﴾(محمد : 38).

وسورة العصر أقصر سورة تجمَعُ الدين كله، لأن التواصي بالحق يجمع كل الوسائل الكفيلة بقيام الدين من جهة، وكل الوسائل الكفيلة بصيانته وحفظه وحراسته من الناسفات والهادمات والمفسدات الصغرى والكبرى، أما التواصي بالصبر على الحق فهو مُنْذِرٌ بأن الأمْرَ ليس سهلا، ويحتاج إلى صبر ومصابرة، وجهاد ومجاهدة، وتحمُّل ومعاناة، وكُلّها صفات لا يقوم بها إلاّ أولو العزم من الدّعاة والعلماء والوُلاّة الربّانيين الذين تاجروا مع الله تعالى تجارة رابحة.

فانعدام التواصي بالحق تبعه الدّخول إلى حصْن الأعمال الصالحة، حيث بدأ التخريب في الصلاة، والزكاة والصيام، وجميع أنواع المعاملة، ثم انتقل إلى تقبيح المعروف وتحسين المنكر، ثم خطا خطوة أخرى أجْرأ منها وأفظع، حيث انتقل التخريب إلى تشويه كل داعٍ للخير أو متشبث به، وتشجيع لكل مُفْسد أثيم، وأصبح الجهر بالكفر والفسق والفجور مدنيةً وحضارةً، والدّعوة للإيمان بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار غَيْباً من الغيبيّات لا يحترفها إلا المهووسون المشعوذون الدجالون المتاجرون بالدين لتحقيق المكاسب المادية، لأن هذا هو مبلغهم من العلم، علمٌ ترابي يرْشَحُ من عقل ترابي، بنهَم ترابي، وهدف ترابي، وظلام ترابي، فأنَّى للقلب المتحجِّر المتكلِّس أن يخترقه نور الهدى الصادر من الله نور السماوات والأرض؟!.

وكما رأينا حديث جبريل عليه السلام يُبيّن أسُسَ الدِّين بسَقْفه الإحْساني نجد رسول الله ﷺ يُبيّن أمْر الإسلام بخطوطٍ أخرى –تشبه ما ورد في حديث جبريل عليه السلام– ولكن بأسلوب يوضح المراحل المتدرجة تصاعدياً، وذلك في حديث معاذ رضي الله عنه : «عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت : يا رسول الله أخبِرْني بعمل يُدخلني الجنة ويُباعِدُني عن النار، قال : «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه :

الخط الأول : «تعبد الله ولا تشرك به شيئا»،

الخط الثاني «وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»،

الخط الثالث : ثم قال : «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل شعارُ الصالحين، قال ثم تلا ﴿تتجَافَى جُنُوبُهم عن المَضَاجِعِ يَدْعُون ربّهم خَوفاً وطَمَعاً وممّا رزقنَاهُم يُنفقُون فلا تَعلم نفس ما أُخْفِي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانُوا يعملون﴾(السجدة : 15)، ثم قال توضيحا لأمر الإسلام بأسلوب وأمثلة أخرى : «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سنامه؟!» قلتُ بلى يا رسول الله قال :

الخط الأول : «رأس الأمر : الإسلام» بعقيدته وأركانه وشريعته وأخلاقه طبعا.

الخط الثاني : «وعموده الصلاة» لأنه لا دين بدون صلاة، ولا عقيدة صحيحة بدون صلاة.

الخط الثالث : «وذروة سنامه : الجهاد» لأنه الوسيلة الوحيدة لحفظ الإسلام في الرأس والعمود سواء كان الجهاد تعليميا أو اقتصاديا، أو سياسيا، أو دفاعا عن الأوطان الإسلامية.

الخط الرابع : ثم قال : «ألاَ أُخْبرك بملاك ذلك كُلِّه؟!» قلت بلى يا نبي الله، فَأَخذَ بلسانه، وقال : «كُفَّ عَلَيْك هَذَا» وهذا ذروة الإحسان، أن يصبح اللسان غير مشتغل إلا بما يرضي الله تعالى، من تلاوة للقرآن، ودعوة للإسلام، وذكر الله تعالى، وإصْلاح بين الناس، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر.. فرحِم الله امْرأً قال خيْراً فغَنِم، أو سَكَتَ فَسَلِم.

فقلت : يا نبيَّ الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! قال : «ثَكلَتْكَ أمُّكَ يا مُعَاذُ، وهَلْ يَكُبُّ النّاسَ في النَّار على وجُوههم –أو على مناخرهم– إلاّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(1).

1– الحديث رواه الترمذي في الإيمان وصححه انظر التاج الجامع من أحاديث الرسول 49/2– 50.

وحصائد الألسنة : ج حصيد بمعنى محصود، فكأن اللسان آلة الحَصْد، والأثر الذي يُحدثُه هو المنتوج المحصود، ونظراً لخطورة اللسان –والإعلام بجميع أنواعه لسان– فإننا نجد أن الرسول ﷺ قال –كما جاء في الصحيحين : «إنّ الرّجُلَ ليتَكَلَّم بالكلمة ما يتَبَيّن فيها يزِلُّ بِهَا في النّار أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِب» وقد دخل عمر على أبي بكر رضي الله عنهما وهو يجبذ لسانه، فقال عمر : مَهْ، غفر الله لك. قال أبو بكر : هذا الذي أوردَني المهَالك، وقال ابن بُريدة رأيت ابن عباس رضي الله عنه أخذ بلسانه وهو يقول : ويحك قل خيراً تغنم، أو اسكتْ عن سوء تسلَم، وإلا فاعلَم أنك ستَنْدَم، إذن ضبط اللسان في المنهج الإسلامي من أعلى أنواع الجهاد. انظر ايضاح المعاني الخفية ص 247.

تتمة الافتتاحية

وكل أمة سلكت مسلك البحث والتنقيب عن الثروة البشرية وإعدادها للصناعة التحويلية، أدركت مبتغاها في تحقيق الصناعات المادية الثقيلة، وفي حياة العزة والكرامة والفضيلة.

إن أمتنا تعاني اليوم من تخبط شامل في تلمس الطريق نحو المستقبل: تخبط يعكسه حجم الهدر داخل جسم الأمة؛ فهو جسم لم يعد قادرا على هضم وتمثل وتحويل ما يدخل فيه من عناصر، فالطاقات البشرية عندنا معرضة للإهمال والحرمان من الرعاية والعناية ومن كل أنواع الخير والنعمة، نقذف بها للشوارع تفتك بها المخدرات وتعرضها للسخط والنقمة، والضياع والتضييع، والميوعة والتمييع، والتفسخ والتحلل، والتسول والتذلل!!

وإنه لعمري لفشل ذريع، ولخطب مريع، أن تعجز الأمة طيلة قرون عن التأسيس للصناعات الأثقل لتخريج الجيل الأمثل تصورا وتصرفا، والأصلح تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا.

إننا لن نخرج من ظلمات هذه الهزائم إلا بإخلاص النوايا وصدق العزائم، ولن ننجو من المهلكات ونتجاوز التحديات إلا إذا امتلكنا قوة الإرادات، ولن نُمَكَّن من اللحوق بالأمم إلا إذا اشتغلنا بتكوين أولي النهى والحزم والعزم وعلو الهمم. ولن نهتدي إلى الطريق الأقوم ما لم نعُدْ للاشتغال بالرواحل، ولن نزداد هدى ما لم تكن صناعتنا البشرية على هدى من وحي الله عز وجل وسيرة رسوله ﷺ في تربية جيل الصحابة؛ ذلك المنهج الذي كانت الأولوية فيه للصناعات الأثقل قبل الصناعات الثقيلة، والتحويلية الإحيائية قبل الاستهلاكية الإهلاكية، وصدق ربنا الكريم إذ يقول : ﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾(الأنعام: 122).

عندما تحب الأرض وتكره

ذ. عبد الحميد البلالي

هذه الأرض التي خلقنا منها، وسنعود إليها، وسيخرجنا الله منها تارة أخرى، تحمل الكثير مما نتصف به نحن بنو آدم، فهي تحب وتكره، وتتغير، وتتأثر بالخير أو الشر، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم: 41). والفساد هنا بمعنى تغير الأجواء التي تؤثر على الإنسان سلباً كامتناع القطر، أو هطوله بكميات كبيرة تغرق البيوت والزروع والبشر وتحطم الأشجار وتهدم السدود، أو كثرة الزلازل والبراكين، والعواصف المدمرة، فكل ذلك وغيره من الفساد الذي يظهر في البر والبحر بسبب ذنوب الناس «بما كسبت أيدي الناس».. فالأرض إذن تتأثر بالذنب فتغضب بإذن ربها، ويقول تعالى عن آل فرعون عندما أخذهم الله بذنوبهم وظلمهم: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾(الدخان: 29). فالأرض تبكي، وتفرح، تبكي عندما يغادرها الصالحون، لأنها تعودت على سجودهم وركوعهم، وبكائهم، وعملهم الصالح، فتفقدهم عندما يموتون، وكذلك فهي تفرح عندما يغادرها المجرمون العصاة، الذين يعيثون عليها جرماً وعصياناً، وجاء في حديث البخاري عن عبدالعزيز بن صهيب عن أنس قال: كان رجل نصراني، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه. هذه الآيات والأحاديث تؤكد ما بدأنا به من أن هذه الأرض التي ندب عليها هي أحد الشهود علينا، وعلى أعمالنا يقول تعالى : ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾(الزلزلة :4– 5). والعاقل الذكي هو من يأخذ هذه الأرض بالاعتبار، وينتبه لما يقوم به من أقوال وأفعال، فهي شاهدة، وهي غاضبة، وهي سعيدة بما يفعل عليها، فهل من معتبر؟!

جريدة المحجة

■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي

الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net

عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3– فاس –المغرب
الهاتف : 931113 (0535)

الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113

الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

الخلفي : الحكومة ملتزمة بقطع العلاقات مع إسرائيل

أكد وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة مصطفى الخلفي، الخميس 29 مارس الجاري، أن التزام الحكومة المغربية بقطع العلاقات مع إسرائيل ينسجم مع ما يؤكده الدستور المغربي من توطيد للانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية، والتضامن مع شعوبها الشقيقة. وقال الخلفي في رد على سؤال صحفي يخص زيارة "الدبلوماسي الإسرائيلي" للمغرب مؤخرا "إن الحكومة ملتزمة بقطع العلاقات مع إسرائيل" مُستحضرا تاريخ أكتوبر 2000 الذي أغلق فيه المغرب مكتب الاتصال الإسرائيلي بعد اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية.

مشعل" يصرّ على عدم الترشح لولاية ثالثة على رأس حركة حماس

أعلنت مصادر فلسطينية أن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل يرفض التجاوب مع الضغوط التي تمارسها قيادات في الحركة ودول عربية وإسلامية للموافقة على ترشحه لولاية ثالثة لرئاسة المكتب السياسي لحماس في الانتخابات المتوقعة بداية أبريل المقبل.

وقالت المصادر أن "مشعل تمنى على الجميع تفهُّم وجهة نظره أنه يريد الاستمرار في خدمة الحركة والقضية الفلسطينية، ولكن ليس في منصبه الحالي".

بعد الشيخ القرضاوي.. فرنسا تمنع مفتي القدس والقرني من دخول أراضيها

بعد منعها الشيخ يوسف القرضاوي من دخول أراضيها, منعت السلطات الفرنسية أربعة دعاة إسلاميين من دخول أراضيها بزعم أنهم "يحضون على العنف والكراهية". وقالت وزارتا الداخلية والخارجية الفرنسية في بيان مشترك إنه تقرر رفض دخول كل من مفتي القدس الشيخ عكرمة صبري، والشيخ إياد بن عبد الله القرني، والدكتور صفوت حجازي والشيخ عبد الله بصفر. كما أعرب البيان عن أسفه لدعوة الباحث السويسري طارق رمضان بحجة "أن تصريحاته تتعارض مع روحية الجمهورية ما لا يخدم مسلمي فرنسا"، على حد قول البيان.

الجيش السوري الحر يصد قوات الأسد عن قلعة المضيق

تمكن الجيش السوري الحر أمس من وقف عملية اقتحام نفذتها كتائب الأسد في بلدة قلعة المضيق بريف حماة، والتي تعرضت للقصف لليوم الـ18 على التوالي. وتجددت الاشتباكات العنيفة بين الجيش السوري النظامي ومنشقين في بلدة قلعة المضيق بريف حماة، بعد اقتحامها صباحاً. وقال عضو المكتب الإعلامي لمجلس قيادة الثورة في حماة أبو غازي ان "القوات النظامية اقتحمت قلعة المضيق والقرى المجاورة لها معززة بالمدرعات، وسط اطلاق نار كثيف، قبل ان تعود وتتراجع إلى أطراف المدينة وتعاود القصف عليها" مشيراً إلى أن "المقاومة من قبل الجيش الحر مستمرة". وأوضح ان العناصر المنشقين "يخوضون معارك كر وفر مع القوات النظامية".

70 قتيلاً مع تواصل الاشتباكات جنوب ليبيا

أعلن المتحدث باسم الحكومة الليبية أن اكثر من 70 قتيلا قد سقطوا في الاشتباكات التي تواصلت لعدة ايام في مدينة سبها جنوب ليبيا.وأشار المتحدث ناصر المناع في مؤتمر صحافي في العاصمة طرابلس إلى أن عدد جرحى الاشتباكات بلغ أكثر من 150 جريحا.وتجدد القتال في المدينة بعد ساعات من اتفاق على وقف اطلاق النار في الاشتباكات المستمرة منذ عدة ايام.وكان أحمد عبد القادر، عضو المجلس المحلي في سبها، قال إن ممثلين من ميليشيا سبها وميليشيا تهيمن عليها جماعة التبو العرقية عقدوا اجتماعا اتفقوا خلاله على إنهاء القتال.

الشوباني: 10٪ من الجمعيات تأخذ 80٪ من الدعم

كشف الحبيب الشوباني الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان والمجتمع المدني، عن معطيات وصفها بـ "الصادمة" تتعلق بوضعية الجمعيات بالمغرب، مؤكدا وجود حوالي 70 ألف جمعية، أقل من 10 بالمائة منها فقط، تستفيد من أزيد من 80 بالمائة من المبلغ الإجمالي الذي يصرف على الجمعيات والمقدر بحوالي 9 مليار سنتيم، مضيفا بأن 97 بالمائة من الجمعيات لا تقدم أية وثيقة عن أعمالها.

تقرير صادم للمجلس الأعلى للحسابات

كشف تقرير للمجلس الأعلى للحسابات لسنة 2010، عن اختلالات بالجملة في عدة مؤسسات عمومية، تورط فيها عدد كبير من المسؤولين، وهو ما يطرح على الحكومة الجديدة تحدي تحريك النيابة العامة في وجه المتورطين في هذه الاختلالات التي شملت الصندوق الوطني للضمان الإجتماعي، ومكتب الصرف، والخطوط الجوية الملكية، المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، صندوق التجهيز الجماعي، إضافة إلى الوكالة الحضرية للبيضاء ومجلس مدينة الرباط، ومكتب التسويق والتصدير وغيره.

والي بنك المغرب: عهد البنك الإسلامي في المغرب ليس ببعيد

قال عبد اللطيف الجواهري والي بنك المغرب إن "عهد البنك الإسلامي وتنزيل صيغ التمويل الإسلامي في المغرب ليس ببعيد". وشدد الجواهري في ندوة صحفية عقدت يوم الثلاثاء 27 مارس 2012 بالرباط لاستعراض حالة الاقتصاد المغربي، على أن مشروع تعديل القانون البنكي (الذي سيسمح بإدخال التمويل الإسلامي ضمن صيغ التمويلات المتعامل بها قانونيا) أصبح جاهزا.

وعن سؤال توقيت تنزيل المشروع، أجاب الجواهري أن"الأمر يرتبط بزمن إقرار التعديلات من طرف البرلمان" وبعدها مباشرة "سنفتح المجال أمام البنوك المغربية والفاعلين الدوليين لطرح عروضهم". وأبرز والي بنك المغرب أن استكمال الترتيبات القانونية والتقنية يمكن أن تمكن من فتح المجال لمشروع بنك إسلامي في سنة 2013.

مكان سري لمقر السفارة "الإسرائيلية" الجديد بالقاهرة

أفادت وسائل إعلام مصرية بأن المقر الجديد للسفارة "الإسرائيلية" في القاهرة سيبقى طي الكتمان بعد أن تم الاتفاق عليه بين وفدان دبلوماسيان وأمنيان من مصر وتل أبيب. وقالت صحيفة "الشروق" على موقعها الإلكتروني مساء الأربعاء إن المباحثات رفيعة المستوى بين الوفدين اختتمت بعد أن تناولت الخيارات المطروحة والخاصة بالمقر الجديد للسفارة. ونقلت عن مصدر دبلوماسي مصري قوله إن الجانب "الإسرائيلي" كان قد توصل إلى بعض الأماكن التي تتوافق مع الاشتراطات المصرية، لتكون مقرًا جديدًا للسفارة، ولم يتم الإعلان عنها لاعتبارات أمنية.

الإعداد لأول ماستر في المغرب حول التمويلات الإسلامية

أعلن بطنجة، عن الشروع في إعداد الملف العلمي لإحداث أول ماستر في المغرب حول "التمويلات الإسلامية" وأكد فارس حمزة الأستاذ الجامعي المسؤول عن وحدة الماستر "مالية بنك وأسواق" بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة عبد المالك السعدي بطنجة، أن رئيس الجامعة كلفه بإعداد الملف العلمي والبيداغوجي للماستر الجديد وذلك على هامش الندوة الدولية التي تنظمها الوحدة التي يشرف عليها، حول "المالية الإسلامية: بديل أم مكمل للتمويل التقليدي".

أول لقاء للمنتدى المغربي الجزائري للصحافيين خلال يوليوز 2012 بالمغرب

توجت المباحثات المغربية الجزائرية حول التعاون في مجال الإعلام والاتصال خلال زيارة مصطفى الخلفي وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة للجزائر بتوقيع اتفاق بين الجانبين على إقامة منتدى جزائري مغربي للصحافيين، ينظم مرتين في السنة بالتناوب في كلا البلدين على أن يتم أول لقاء في شهر يوليوز 2012 بالمملكة المغربية والعمل على توسيع هذا المنتدى مستقبلا لمختلف الدول المغاربية.

ووقعت وكالة المغرب العربي للأنباء (وم ع) ووكالة الأنباء الجزائرية (واج) بالجزائر العاصمة بروتوكولا للتعاون في مجال تبادل الأخبار والوسائط المتعددة والتكنولوجيات.

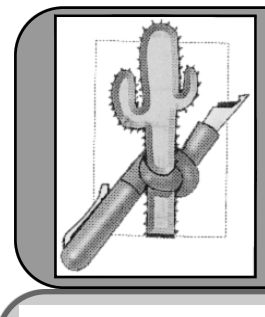

أله قله

الديموقراطية بين الأصل السليم والفرع اللئيم -1-

ارتبط ظهور الديموقراطية فكراً وممارسة بشروط تاريخية واجتماعية خاصة بالفكر والمجتمع الغربيين لكنها صارت بعد ذلك خطابا كونيا، تداس فيه الخصوصيات، وتُنَمَّط فيه السلوكات أحيانا وتُحَرف أحيانا أخرى، فابتعدت عن أصلها، وتفرعت عنها فروع سقيمة لئيمة، لذلك نلاحظ أن مستويات تطبيق هذا المفهوم يختلف من بلد إلى بلد، حسب التقاليد والأعراف والنظام السياسي والاجتماعي، وقبل ذلك وبعْدَه حسب العقيدة والدين، ولذلك فالديموقراطية في بلد إسلامي، لا يمكن أن تكون نسخة مطابقة للأصل لديموقراطية أخرى في بلد غير إسلامي وخاصة البلدان الغربية العلمانية، إذ من المعلوم أنه لا يمكن أن يطرح للتصويت موضوعٌ من الموضوعات المنصوص عليها شرعاً تحليلا أو تحريما، من أجل تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله، أو إبطال حق مشروع، أو إقرار باطل مرفوع، أو ما شابه ذلك. إذ من المعروف أن ما يُخضع للتشاوُر والتحاور وإبداء الرأي، هو ما يتعلق بأمور الدنيا العامة مما لم يرد فيه نص من الكتاب أو السنة.

وتبعا لذلك فإن الأصل في الديموقراطية هو أن ما أجمعت عليه الأمة، أو ما قررته بأغلبيتها مما بدا لها أنها صواب في أمور الدنيا، فلا بُدّ أن يُعمل به، ولابد أن يُنظر إليه بعين التقدير، كذلك فإن من اقترحوه ليتولى أمراً من أمورهم إجماعا، أو أغلبية، أن يكون في مستوى ما أولوْه، وأنْ يفي بما وعدهم به، وأن يبذل قصارى جهوده من أجل ذلك، دون أي تحيّز حزْبي أو عصبي، على الأقل بسبب أنه حينما كان يخاطب الجمهور من أجْل أن يصل إلى ما وصل إليه، لم يكن خطابه موجّها إلى فئة دون أخرى.

والأصل في الديموقراطية، أن تكون بعيدة عن كل ما يشينها، أو ينتقص من مكانتها، سواء أتعلق الأمر بالتنافس غير الشريف، القائم على شراء الذِّمم، وتشويه المنافس الآخر زوراً وبهتانا، أم بالتزوير والتدخل في النتائج التي أدى إليها التصويت أو الانتخاب، وإلا كانت الديموقراطية نوعاً من اللعب والتمثيل المسرحي ليس إلا.

والأصل فيها كذلك أن تكون خادمة للشعب من جميع الجوانب التي كانت مجالا للتصويت في الاستفتاء أو الانتخابات لا سيفًا مصلتا عليه، أو على فئة دون أخرى، أو تكون مجرد شعارات للتسويق المرحلي، وخدمة أغراض ومصالح ضيقة شخصية أو عصبية.

وعلى أساس ذلك، فإن الأصل في الديموقراطية أيضا أن تخضع الأقلية لرأي الأغلبية، بشكل طوعي، دون حزازات أو صراعات، وأن تقوم بدور المعارضة بشكل بنّاء لا هدام. وهذا كله مع صدق النوايا واخلاصها عند الجميع.

هذا وغيْره مما وافقه أو شابهه من الأصول السليمة للديموقراطية، التي تسعى لخدمة المجتمع وإسعاده والنهوض به لكن في المقابل هناك فروع لئيمة تمثلها فئات وجهات بل مؤسسات وهيئات، ترفع شعار الديموقراطية وهي منها براء، وتنادي بها وهي منها بعيدة.

د. عبد الرحيم بلحاج

مع كتاب الله عز وجل

أوجه الإعجاز في الأمر بأخذ الكتاب بقوة

﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا﴾

د. زغلول النجار

هذه الآية الكريمة جاءت في أوائل سورة مريم، وهي سورة مكية، وآياتها ثمان وتسعون(98) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم تكريما للسيدة مريم البتول التي أوردت السورة الكريمة معجزة حملها بابنها عيسي دون أن يمسها بشر(من أم بلا أب) ووضعها إياه طفلا يتكلم وهو في المهد.

ويدور المحور الرئيسي لسورة مريم حول قضية العقيدة الإسلامية، شأنها في ذلك شأن كل السور المكية.

هذا وقد سبق لنا استعراض سورة مريم وما جاء فيها من ركائز العقيدة، والإشارات العلمية، ونركز هنا على أوجه الإعجاز التاريخي والتربوي والعلمي في الآية التي اتخذناها عنوانا لهذا المقال وفي غيرها من الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى نبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام، وقد عاشا قبل تنزل القرآن الكريم بأكثر من ستمائة سنة.

× من أوجه الإعجاز التاريخي والتربوي والعلمي في ذكر القرآن الكريم لنبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام:

جاء ذكر نبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام في خمس من آيات القرآن الكريم يمكن تصنيفها على النحو التالي:

1- منها ما جاء يبشر بميلاده، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالي في محكم كتابه:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران:38- 39).

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾(مريم:7).

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(الأنبياء:88 - 89).

2- ومنها ما وضعه ضمن كوكبة الأنبياء المعروفين لنا، وفي ذلك يقول رب العالمين:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(الأنعام:84 -88).

3- ومنها ما يؤكد منزلة نبي الله يحيى الذي فقهه الله في الدين، وعلمه التأويل، وفهمه أحكام كتابه الكريم، وهو لا يزال في طور الصبا، وأمره بأن يعمل بما جاء في التوراة بجد وعزم، وطبعه على التواضع والزهد وسمو النفس، وعلى تقوى الله تعالي في السر والعلن، وعلى الاجتهاد في العبادة من أجل تزكية النفس، وعلى الرفق بالمخلوقين والعطف عليهم، والحنان لهم، كما جعله الله تعالى كثير البر بوالديه، وكثير الإحسان إليهما، ولم يجعله متجبرا على الخلق، ولا عاصيا للخالق في شيء، لذلك جعل الله تعالي له سلاما وأمنا وحفظا من الأذى لحظة ولادته، ويوم وفاته، ويوم بعثه حيا، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالي في محكم كتابه:

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا. وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(مريم:13 -14).

- ويقول المصطفي ﷺ عن العبد الصالح، والفتى العابد يحيى بن زكرياء عليهما السلام ما يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بالنص التالي: ما من أحد يلقى الله عز وجل إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكرياء فإنه لم يهم ولم يعمل.

- وقال صلي الله عليه وسلم: من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكرياء قتلته امرأة.

- وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه، إلا يحيى بن زكرياء فإنه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين، ثم أومأ النبي إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: وكان ذِكْرُه مثل هذه القذاة.

وتعددت الروايات عن استشهاد يحيى بن زكرياء، لكن الثابت أنه قتل دفاعا عن دين الله الحق، وما يدعو إليه من التزام بمكارم الأخلاق.

- وعن رسول الله ﷺ أنه خرج على أصحابه يوما فوجدهم يتذاكرون فضل الأنبياء، قال قائل: موسى كليم الله، وقال قائل: عيسى روح الله وكلمته، وقال قائل: إبراهيم خليل الله، ومضي الصحابة يتحدثون عن الأنبياء، فتدخل الرسول عليه الصلاة والسلام حين رآهم لا يذكرون يحيى قائلا: أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر، ويأكل الشجر مخافة الذنب، أين يحيى بن زكرياء؟.

× الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة نبي الله يحيى بن زكرياء.

من الدروس المستفادة من الإشارات القرآنية الكريمة إلى بعض الأحداث في سيرة نبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام ما يلي:

1- إن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هنا كان التقرب إلى الله بالدعاء هو مفتاح كل خير.

2- إن الاستقامة على أوامر الله هي طوق النجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

3- إن الهدف من عبادة الله سبحانه وتعالى هو تربية النفس الإنسانية وإشعارها بمراقبة الله، وتأكيد حقيقة عبودية العبد لله الخالق البارئ المصور، وحقيقة ألوهية الله وربوبيته ووحدانيته المطلقة فوق جميع خلقه في قلب وعقل الإنسان العابد، وهذا من أعظم وسائل التربية للإنسان، ومن أيسر العوامل الفاعلة في ضبط سلوكه وسط معركة صراعه مع الشيطان، والتضارب بين أهل الحق وأهل الباطل على طول الزمان.

4- إن تقوى الله وحسن الخلق والعمل الدءوب على تزكية النفس، وحب الخلق، والحنان لهم، والعطف عليهم هي من أعظم القربات إلى الله، ومن مفاتيح القلوب عند المخلوقين.

5- إن الثبات على الحق والتمسك به والاستعداد للتضحية من أجله هو من منازل الشهادة في سبيل الله، فقد أهدر دم نبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام بسبب كلمة حق قالها في بلاط ملك فاجر، فاسق، ظالم يقال إن اسمه هيرود، وبقي ذلك الموقف النبيل من نبي الله يحيى بن زكرياء مثلا يحتذى لأهل العلم والدين والالتزام إلى آخر الزمان.

وهذه الإشارات القرآنية الكونية إلى نبي الله يحيى بن زكرياءء عليهما السلام، والدروس المستفادة منها، تمثل وجها من أوجه الإعجاز التاريخي والتربوي والعلمي في كتاب الله.

ووجه الإعجاز التاريخي يتجسد في صدق الإشارات القرآنية والنبوية عن هذا النبي الصالح، فعلى الرغم من التشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وما أوردته بعض كتب الأولين عن نبي الله يحيى بن زكرياء أو يوحنا المعمدان، فإن الفرق بين كلام الله وروايات البشر هو أوضح من الشمس في رابعة النهار.

وأما الإعجاز التربوي فيتمثل في النقاط الخمس التي أوجزتها آنفا تحت عنوان الدروس المستفادة من عرض القرآن الكريم لقصة نبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام، وأما الإعجاز العلمي فيتجسد في إنجاب طفل من أبوين طاعنين في السن مصابين بالعقم، يائسين من إمكان النسل مما فتح الباب أمام الأطباء بإمكان علاج تلك الحالات، وإن كانت المعجزات خوارق للسنن لا يقوى عليها إلا رب العالمين.

وواضح الأمر أن ذكر القرآن الكريم لنبي الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام يشهد بأن هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو بيان الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه عل نفسه، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) وحفظه على مدى أربعة عشر قرنا أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهدا مطلقا حتى يبقي القرآن الكريم شاهدا على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهدا للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على بعثة خير الأنام ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحوال مؤثرة لأبناء بررة(3)

● عاشرا : هذيل بن حفصة:

عن هشام، قال: كانت حفصة تترحم على هذيل، وتقول: كان يعمد إلى القصب فيقشره ويجففه في الصيف، لئلا يكون له دخان، فإذا كان الشتاء جاء حتى قعد خلفي وأنا أصلي، فيوقد وقوداً رفيقاً ينالني حره ولا يؤذيني دخانه، وكنت أقول له: يا بني، الليلة اذهب إلى أهلك، فيقول: يا أماه أنا أعلم ما يريدون، فأدعه فربما كان ذلك حتى يصبح.

وكان يبعث إلي بحلبة الغداة، فأقول، يا بني تعلم أني لا أشرب نهاراً فيقول: أطيب اللبن ما بات في الضرع، فلا أحب أن أؤثر عليك، فابعثي به إلى من أحببت.

فمات هذيل، فوجدت عليه وجداً شديداً، وكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن. قالت: فقمت ليلة أصلي، فاستفتحت النحل، فأتيت إلى قوله تعالى: ﴿ما عندَكُم يَنفَدُ وَما عندَ اللَّهِ باقٍ وَلَنَجزِيَنَّ الَّذينَ صَبَروا أَجرَهُم بِأَحسَنِ ما كانوا يَعمَلُونَ﴾ فذهب عني ما كنت أجد(1).

● الحادي عشر: ظبيان بن علي الثوري

عن ظبيان بن علي الثوري -وكان من أبر الناس بأمه- قال: لقد نامت الليلة وفي صدرها عليه شيء، فقام على رجليه يكره أن يوقظها، ويكره أن يقعد، حتى إذا ضعف جاء غلامان من غلمانه، فما زال معتمداً عليهما حتى استيقظت، وكان يسافر بها إلى مكة، فإذا كان يوم حار حفر بئراً، ثم جاء بنطع فصب فيه الماء، ثم يقول لها: ادخلي تبردي في هذا الماء(2).

● الثاني عشر: عون بن عبد الله

عن عون بن عبد الله، أنه نادته أمه فأجابها، فعلا صوته، فأعتق رقبتين(3).

● الثالث عشر: ابن عمر بن ذر

وبلغنا عن عمر بن ذر أنه لما مات ابنه قيل له: كيف كان بره بك؟ قال: ما مشى معي نهاراً إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقد على سطح أنا تحته(4).

● الرابع عشر: رجل من بني إسرائيل

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج(5).

● الخامس عشر: الهدهد

قال عكرمة: إنما صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد أنه كان بارا بوالديه، ينقل الطعام إليهما فيزقهما(6).

فانظر -رحمك الله- من أي هؤلاء البررة أنت؟ أم تراك نُسِّيت أن لك أبوين حيين أو ميتين، وأن لهما عليك أن تبرهما وتحسن إليهما؟

1- 4- بر الوالدين لابن الجوزي 6/1
5- رواه البخاري ومسلم
6- الجامع لأحكام القرآن

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

سلسلة منازل الإيمان

منزلة الزهد (*) 3 الأخيرة

فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

في الحلقة الثانية من منزلة الزهد تحدث الشيخ الجليل عم لا يجوز الزهد فيه، وعن الأمور التي يكون فيها الزهد، ليتحدث عن المسكوت عنه مبينا ومفصلا، أن الزهد لا يكون في المحرمات وإنما في المباح المسكوت عنه وبين ذلك من خلال نماذج وفي هذه الحلقة يواصل رحمه الله الحديث لمناقشة قضية الغناء وعلاقتها بالمسكوت عنه، وكيفية الزهد فيه.

حالة الغناء حالة المسكون عنه :

علم الله عز وجل أن العرب أمة مُغَنِّيَة، وهي كذلك في جاهليتها وممن لم يُسلِم في زمان محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وكذلك ستبقى إلى يومنا هذا، لا زال العرب إلى الآن أهل طرب، وهذا مشهود مسموع حيث ما ذهبت.

كل ما حرمه الله فقد نص على حرمته :

فما حرمه الله حرمه بنص قرآني، أراد تحريم الخمر فنص عليه، وأراد تحريم الخنزير فنص عليه، وأراد تحريم الدم فنص عليه، وأراد تحريم الميتة فنص عليها، وأصناف أنواع الميتة من النطيحة والمتردية إلى آخره كل شيء فنص عليه، وأراد أن يحرم زواج الأمهات فنص عليه، ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ ، وما شابه ذلك وما قيس عليه، فكيف يقال إنه لم يحرم الغناء وهو حرام؟ فأحد أمرين، إما أنه سبحانه لاعلم له به، وهذا مستحيل، أو أنه لم يرد تحريمه، والاحتمال الثالث غير موجود، لو أراد أن يحرمه لحرمه نصا، لأنه ليس شيئا صغيرا لا يظهر، إنه الغناء، ولو حرَّمَه لدخل الناس أجمعون جهنم، بمجرد خروجك من بيتك يصب على أذنيك صبا، فأين تذهب؟ إنه أمر لا يُطاق، تحريم الغناء لا يطاق، والله عز وجل رفع عن هذه الأمة الإصر والأغلال التي كانت على من قبلهم، فتحريم الغناء فيه حرج على الناس، ثم بعد ذلك هو فطرة في الإنسان، الإنسان من فطرته أن يتغنى، ولكن لم أقل إنه مباح وإنما أقول ليس بحرام فقط، هذا سكت عنه.

عدم وجود نص حديثي دال على حرمة الغناء :

ومن يبحث في الأحاديث النبوية يجد حديث البخاري فقط، "يأتي على الناس زمان يستحلون فيه الحرام والحرير والخمر والمعازف"، هذا ما يجدون، قبل أن نفصل هذا الحديث هل يكون الغناء حرام وتبحث في القرآن كاملا لا تجد له آية صريحة باسمه وتبحث في السنة وما أدراك ما السنة، آلاف الأحاديث في البخاري وفي مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبي داود والمسانيد بعد ذلك، آلاف الأحاديث، فلا تجد إلا هذا الحديث وحده.

النبي ﷺ نهاه الله عز وجل في الميتة والخنزير والدم وهو ﷺ زاد في هذه المطعومات، نهى عن كل ذي مخلب من الطير، وهي الطيور التي تأكل اللحم مثل الأحدية، الحدأة، النسر، والغراب والصقر، نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم فدار النهي بين التحريم والكره ،وكل ذي ناب من السباع من القط حتى الأسد، مروراً طبعا بالكلب وبالذئب إلى آخره، كل وحش يأكل اللحم ، وذوات السموم الحية وما شابهها كل ذلك نهى عنه النبي ﷺ، والأحاديث في هذا الأمر كثير، ونهى عن الحُمر الأهلية، يعني الحمير والبغال والأحاديث أيضا في هذا كثير، فكيف بالغناء الذي وجدنا فيه حديثا واحدا؟

رد شبهة من يتمسكون بتحريم الغناء :

هذا منطق التشريع وأصول التشريع، ثم بعد ذلك نجيء إلى صيغة الحديث "يستحلون" وهذه اللفظة هي التي يعتمدها الذين يحرمون بالنص، فما معنى يستحلون؟ يعني يجعلونها حلالا، الألف والسين والتاء للطلب وللتحويل أيضا، استنسر تحول نسرا واستنوق الجمل، تحول ناقة، يستعملونه في الكناية على الرجل يصبح ضعيفا، فإذن الألف والسين والتاء عندها معان من بينها الطلب ومن بينها التحويل أو التحول، فيستحل يحول الحرام إلى حلال، هذا ماذا يفهم منه؟ يسميه العلماء مفهوم المخالفة، معنى الكلام أنه من يأتي ويقول أن هذه حلال وهي حرام، أي سبق النص بتحريمها، في الزنى تجد النص الذي حرمها، قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ ، فإذا قال أحد يستحل الزنى، يُفهم منه أنه جعله حلالا وقد سبق تحريمه، ويستحل الخمر، نعم يستحل الخمر لأنه سبق تحريمه ﴿إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾، والحرير سبق تحريمه على الرجال هو والذهب، قال ﷺ : (الذهب والحرير حل لإناث أمتي وحرام على ذكورها) أخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه بسند صحيح،، فكل ما ذُكر في هذا الحديث سبق تحريمه بالنص فإذا جاء أحد يستحله أراد أن يحوله إلى حلال، فإذن ما النص الذي سبق تحريم الغناء به؟ لا تجده، لو أجده أنا أو تجده أنت، لوجده العلماء من زمان، العلماء الذين اجتهدوا كي يحرموا الغناء، ولم يجدوه.

دلالة ترك النبي ﷺ وصحابته للغناء :

ولكن نتجه إلى الجهة الأخرى لو كان الغناء مباحا حقا والنبي ﷺ شجع الصحابة على إتيان المباحات، والله عز وجل نهى النبي ﷺ عن ترك الحلال، ﴿يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك﴾، لماذا النبي ﷺ لم يغن قط؟ ولا قصد سماع الغناء؟ لماذا لم يثبت في حديث أن صحابياً تناول مزمارا يزمر به؟ أو ماسكا بكمان يلهو به؟ ولا حديث، إذن هناك شيء في هذا، **هذا هو المسكوت عنه، لا تجده هنا ولا تجده هناك، فإذن مثل هذا الذي يقال فيه الزهد، هنا تزهد، في مثل هذا، فتركه خير من فعله، ولو تكلم الله فيه لحرمه، وإنما عفا وسمح لنا،** لأنه لو لم يعف لدخل أغلب الناس النار، لأن هذا مما يصعب تركه، تحرص كثيرا ولكن في لحظة من اللحظات تجد نفسك وأنت تغني لوحدك، هكذا يقع لنا جميعاً، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله قال: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»(حديث حسن رواه الدارقطني وغيره)، **والعفو هو المسكوت عنه، والمؤمن الصالح الورع حقا يزهد في مثل هذا، لأنه لا يليق بالمسلم الصالح التقي الورع أن يمسك آلة موسيقية، غير معقول، ولو فعله عالم لسقطت مروءته.** تصوروا مثلا فقيها من الفقهاء الذين تعرفون ممسكا بآلة من هذه الآلات، لن يسمع لكلامه أحد، تسقط مروءته، لن تبقى له قيمة عند الناس، وعبر التاريخ إذن لماذا لم تبق له قيمة عند الناس؟ في النفس من الغناء شيء، يعني الناس يعجبهم الغناء ولكن ليس بشيء جيد، حرفة سيئة، ثم هو بعد ذلك كما قال ابن القيم رحمه الله محلل النفس، فالغناء يُفسد القلب، وإذا فسد القلب هاج في النفاق .

ودليله الاستقراء من التاريخ ومن الواقع، ما اجتمع الغناء في قوم إلا كانت فيهم مصيبتان، أينما وجدت بيئة أهل الفن في المغرب، في المشرق، في الصين، في اليابان، في أمريكا، في أي بلاد، وفي التاريخ، من زمان، من يوم أن عرف الإنسان آلة الطرب، أينما وجدت أهل الفن تجد فيهم آفتان، الزنى والخمر، وأعطني الدليل المعاكس، أغلب من يموت منهم بأمراض قاتلة ترجع إما للزنى أو للخمر والمخدرات، سببهم الطرب، اليوم وغدا تفسد النفس، إن سمعته مرة، يقال لك لا حرج، إن الله غفور رحيم، ولكن إن صار لك عادة تلك هي المصيبة فالزهد في مثل هذا مطلوب هذا يُزهَد فيه ومأجور تاركه إن شاء الله، فإذن تقول حرام فهذا أمر خطير، وأن تقول حلال مائة في المائة فهذا أمر أخطر، فهو إذن مسكوت عنه، معفو عنه من قبيل المباح، ولكنه المباح المسكوت عنه وليس المباح المصرح بإباحته، فتركه إذن خير من فعله، لأنه لا يخدم الضروريات الخمس بل يهدمها، هذا نوع المباح المصرح بإباحته، الذي صرح الله عز وجل بإباحته في القرآن والسنة يخدم الدين ويخدم النفس الإنسانية ويخدم النسل ويخدم المال ويخدم سائر الضروريات كما بينا في الزواج والشراب والطعام واللباس والتمتع بالطيبات من الرزق، فإذن يمكن أن يكون بل إن المباح المسكوت عنه يهدم تلك الضروريات، المباح الذي سكت عنه الله عز وجل لم يتكلم فيه، يهدم الضروريات الخمس.

ها نحن مثلنا بالغناء، من داوم عليه سوف يُخرِّبُ دينَه، ويخرب النفس، ويخرب النسل، ويخرب الحياة، لأنه يؤدي إلى تحلل الإنسان من التكاليف، ثم تصيبه الآفتان الزنا والخمر، ولا يقولن أحد إني أعرف فنانا واحدا ليس به زنى ليس به خمر، كم نسبته؟ واحد في المليون، لا عبرة به، لأن الشريعة جاءت للأغلب و للعموم، والشاذ لا حُكم له. ليس قصدنا هنا أن نبين حكم الشرع في الغناء، لا أبدا، وإنما القصد أن نتكلم عن معنى الزهد الذي سنفصل فيه في لقاء لاحق بحول الله، **فإذن الزهد لا يجوز أن تستعمله في الواجبات ولا في المندوبات ولا في المكروهات والمُحَرَّمَات، لأنها رغما عنك يلزمك الزهد فيها، ولا في المباحات المصرح بإباحتها، المباحات المصرح بإباحتها لا تزهد فيها، بل تناولها بالقدر الشرعي واشكر الله على نعمه وازهد فيما سكت عنه الشارع، في ما ينقض الدين، فيما يَهدِم الإسلام مما لا نص فيه، مثل هذا يزهدَ فيه الإنسان، ويُقاسُ على ذلك أشياء كثيرة.**

من الزهد ما كان مباحا بالجزء حراما بالكل :

نعطي مثالا، شيء مباح لكن عندما يأتي في طريق الحرام يصبح في بعض الأحيان- مباحا مسكوتاً عنه، تَرْكُه أوْلا وخير من فعله، مثلاً شُرْبُ الماء، شرب الماء، لا يوجد بأس، هذا مباح مُصَرَّحٌ بإباحته، فالنبي ﷺ كان يحب الماء البائت، كما هو ثابت في السنة الصحيحة وفي الشمائل، كان يترك الماء يبيت في آنية حتى الغد ثم يشربه، على كل حال الماء من الطيبات، بل من أصول الطبيات والضروريات، ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ ولكن أنت ذاهب في الطريق ووجدت خمَّارة، حانة -أعزكم الله- وقلت لصاحبها أعطني شربة ماء مباح، لا أحد يقدر أن يقول لك حرام، تشرب الماء، عَطشتَ وشربت الماء عند صاحب المقهى ولو أنه يبيع الخمر مباح، فالكأس نقي وشربت الماء الذي أحله الله، ولكن إذا شربته اليوم وغدا وبعد غد في ذلك المكان، فصار تناول هذا المباح في ذلك المكان مرتبطا بالمكان، والمكان مكان منكر، فيحصل تطبيع نفسي مع المنكر، فلا يُؤمَن عليك أن تشرب في يوم ما الخمر، **ولذلك مثل هذا المباح معفو عنه، فهو مباح بالجزء، حرام بالكل،** لا يجب أن تكون عندك عادة، فمثل هذا يزهد فيه، ماؤه مثل حرامه، ولو أنه ليس بحرام تقول مثل حرامه، هذا زُهدٌ مأجور عليه بإذن الله، وكذلك من خالط ماله مالٌ حرام، ماله مشبوه، فيه الحلال، تعرف فيه الحلال ولكنه مختلط، الزهد في مثل هذا زهد مقبول مأجور إن شاء الله، ابتعد عنه، وابحث عن من له مال طيب، وهذا الذي سماه النبي عليه الصلاة والسلام المُشتبِهات، "وبينهن أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه" **فإذن الزهد يكون في ما اشتبه وفي ما تشابه وفيما كان وسيلة ولو من بُعد إلى الحرام أو إلى المكروه فيزهد فيه الإنسان.**

خلاصة :

وخاتمة الكلام أن الزهد أيضا يمكن أن يحصل فيما لم تستطع الوصول إليه، ولكن بالمعنى النفسي الوجداني، معنى ذلك أن أمرا من المباح المصرَّح بإباحته لا تستطيع الوصول إليه، ازهد فيه، ما معنى ازهد فيه؟ لا أن تقول أزهد فيها ولا أريدها، أنت لم تتوصل إليها ولا تستطيعها والمطلوب أن تزهد فيها وجدانيا، وألا يتعلق قلبك بها.وهذا ما سنفصله بحول الله في لقاء مقبل وانطلاقاً من قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وهذا ما يعنينا من الدرجة الأولى من بعد ما بينا فيما ينبغي أن يزهد فيه المؤمن وما لا ينبغي أن يزهد فيه المؤمن، فنبقى مع هذا الذي نعيشه في أكثر من الأحيان حيث تتأسى النفس إن فقدت كثيرا من المباحات، فلا ينبغي أن يحصل للنفس أسى، ولا ينبغي أن تتحسر مواجيدك أن لم تجد من رزق الله ما يُوسَّع عليك به، فتعلم أن تزهد أيضاً فيما لم تجد من المباحات والطيبات حتى تكون راضيا بما قسَمَ الله لك ، لأن الزهد رضى.

(*) منزلة الزهد من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر :
عبد الحميد الرازي

حقوق المسلم : أحكام ومقاصد ووظائف

د. لخضر بوعلي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «حق المسلم على المسلم ست" قيل ما هنّ يا رسول الله ؟ قال : إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعُده وإذا مات فاتبعه»(1).

مقدمة :

إن الإسلام عندما يتحدث عن حق المسلم ويحض عليه ، فإنه لا يغفل حق الآخر -غير المسلم- لأن الإسلام أكبر من أن ينحصر حديثه في طائفة من الناس مهما عظمت، وهو أجلّ من أن يؤثر أتباعه بالعناية والوصايا، وهو أعظم من أن يقصر الرحمة التي جاء بها على من استجاب له، وهو أوسع وأشمل من أن يحيط بأحكامه نص واحد...

في هذا النص الكريم تحدث عن حق المسلم على أخيه المسلم ومع أن الصيغة التي ورد بها الحديث الشريف تبدو مستغرقة(2) لحق المسلم إلا أنها لا تمثل منه إلا جزءً يسيراً كما سيتبيّن لاحقاً.

إن الإسلام يتحدث للرسول ﷺ عن حق الإنسان -كل الإنسان- بغض النظر عن جنسه وعرقه ولغته ودينه... بشرط ألا يحارب المسلمين ولا يسعى إلى إخراجهم من أوطانهم أو يساعد أعداءهم عليهم، قال تعالى : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾(3).

قواعد عامة:

● إن من مقاصد الشريعة الإسلامية توحيد الصفوف وتاليف القلوب ورأب الصدع بين المسلمين. وقد امتنّ الله الكريم على رسوله محمد ﷺ بهذه النعمة، قال تعالى : ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمومنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾(4).

● وبالنعمة ذاتها امتنّ الكريم سبحانه على المؤمنين ، قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً...﴾(5).

● إن استقراء الأحكام الشرعية كلها، جميع الأوامر وجميع النواهي ما كان منها على وجه الإلزام أو من غير إلزام، يبين أن هذه الشريعة الشريفة تسعى دائما إلى رعاية العلاقات بين بني الإنسان بصفة عامة وبين أبناء الأمة الإسلامية بصفة خاصة إنشاءً وحفاظاً وتقوية...؛ فالسرقة والغش والربا والخمر والميسر والغيبة والنميمة والاعتداء والظلم والكبر والبخل والخيانة... وغيرها مما يأتيه الإنسان لا يخفى أثرها في زرع العداوة والبغضاء بين المسلمين، ولذلك وضعها الإسلام في وعاء المنهيات فحرمت. كما أن الزكاة والإحسان والعدل والتواضع والعفو والوفاء والبر والأمانة... وغيرها من الأعمال والتصرفات التي يغفل عنها كثير من الناس أو يستخفون بها لها أثر حاسم في ربط جسور التواصل بين الناس وزرع الثقة بين أبناء المجتمع وتقوية أواصر المحبة، ولذلك وضعها الإسلام في دائرة المأمورات فوجبت.

حق المسلم على أخيه المسلم:

- إن حق المسلم على المسلم أكبر من أن يحصر فيما ذكره هذا الحديث الشريف الذي ثبتت نسبته إلى الصادق المصدوق، كما أن نصوصاً أخرى من القرآن الكريم أو مما صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ ورد فيها ذكر المنهيات بصيغة العموم بل وبصيغة الحصر ولم يقل أحد ممن يعتمد قوله أنها حاصرة لها من ذلك:

● قوله تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾(6). إن الآية، وإن وردت بصيغة الحصر، إلا أنه حصر صوري(7).

● وقوله ﷺ : «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور» قال راوي الحديث ولا يزال يرددها حتى قلنا ليته سكت»(8).

● وقوله ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر والربا وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات والتولي يوم الزحف».

السؤال الذي يُطرح هو : إذا كان للمسلم حقوق أخرى فلماذا لم يذكر رسول الله ﷺ إلا هذه الحقوق الستة؟.

والجواب من وجوه:

- أن رسول الله ﷺ هو أفصح من تكلم باللغة العربية وآتاه الله جوامع الكلم وهو أبلغ البلغاء، ومن البلاغة مناسبة الكلام لمقتضى الحال، فليس من البلاغة مثلاً أن نحدث فقيراً عن حرمة التبذير والبخل أو عن فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى.

وفي هذا الباب أجزم أننا لو استطعنا أن نعرف أسماء الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ عندما قال لهم ذلك وتتبعنا تراجمهم وسيرهم لوجدنا فيهم من لا يهتم برد السلام ومن لا يجيب الداعي وغير ذلك.

إلا أن المتتبع لكلام الحبيب ﷺ يلاحظ أن منهجه في تربية الأمة لا يقتصر على تصحيح الأخطاء بل يضيف إليه تثمين الصواب .

وعليه فإن الصحابة رضي الله عنهم كان فيهم من يتعامل بإيجابية مع هذه الحقوق.

- إن رسول الله ﷺ هو معلم البشرية وعليه لو افترضنا أنه لم يكن من الصحابة رضي الله عنهم مقصر في هذه الحقوق، فإن فينا باليقين من قصر فيها بل ومن أهملها فيكون الحديث موجهاً إلينا .

إن تعاملنا مع توجيهات رسول الله ﷺ لا تنفك عن حالتين : أن يكون سلوكنا موافقاً لها فنحمد الله على التوفيق ونسال الله الكريم الثبات وأن يزيدنا من فضله، أو يكون سلوكنا مخالفاً -لا سمح الله- فنبادر إلى التقويم والاستغفار مما سلف.

من كان هذا منهجه مع كلام الحبيب ﷺ فهو، بإذن الله تعالى، على الهدى المستقيم ومن كان على غير ذلك فليبادر إلى توبة منهجية.

إن حق المسلم على أخيه المسلم كبير ولا يوفيه حقه إلا أن يبذل الوسع ويشعر مع ذلك بالتقصير، فمن بذل ما يستطيع من جهد ونصح فـ﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾(9).

ومن العيوب التي انتشرت بين المسلمين أن بعضهم يتعلم شرع الله الحكيم ليس ليعمل به ويعلمه من لا يعلمه تقرباً إلى الله تعالى وابتغاءً لوجهه... ولكن يتعلمه ليحاسب به غيره. هذه الطائفة لا تذكر شرع الله الكريم ولا تعمل به ولا تعلمه ولا تشكر من يعمل به ولكنهم يتربصون بالناس فإذا أخطأ أحد وخالف هذا الشرع فإنهم يوبخونه به . وهذا سلوك سيّئ لأنه يُولّد نوعاً من الكراهية للإسلام لأنه لا يُذكر لهم إلا في موضع التأنيب والتوبيخ.

بعض النصوص في حق المسلم على المسلم:

● قال رسول الله ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده...»(10).

● وقال ﷺ : «المسلم أخ المسلم لا يخذله ولا يكذبه ولا يسلمه ولا يحقره، التقوى هاهنا ثلاثاً (وأشار إلى صدره) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(11).

● قال البراء بن عازب رضي الله عنه : «أمرنا(12) رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع أمرنا بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار القسم أو المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام ونهانا عن خواتيم أو عن تختم بالذهب وعن شرب بالفضة وعن المياثر وعن لبس الحرير والإستبرق والديباج»(13).

إذا ما توقفنا عند هذا الحديث لشدة أهميته فإننا نلاحظ في البداية أن ما فيه من المنهيات كلها تدور على أمرين بارزين هما:

- تحريم بعض الأشياء كالتختم بالذهب والشرب في أواني الفضة ولبس الحرير والاستبرق والديباج وغيرها لأن هذه الاختيارات تفيد أن صاحبها مبذر للمال أو مستكبر على الأقران أو مستخف بمن حوله من الفقراء... وإن واحدة من الخصال كافية لإدانته ودليل على ضعف شخصيته.

- أما المأمورات الواردة في هذا الحديث فليست على درجة واحدة من الأهمية وبالتالي لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من الإلزام. **فنصر المظلوم حق من حقوق المسلم ولكنه ليس كباقي الحقوق من حيث رغبة المسلم فيه عندما يقع عليه الظلم، وأثر التفريط فيه، إذا ما تعين، كبير.**

إن نصر المظلوم قيمة إسلامية لا يصح التهاون بها ولا التخاذل، وقد أولاها الإسلام عناية خاصة تتجلى فيما يلي:

أ- حكمها، الوجوب والعموم المطلق.

يستفاد وجوب نصر المظلوم من نصوص متعددة وهذا النص واحد منها. والحديث بصيغته "أمرنا بكذا ونهينا عن كذا" يستفاد منه أنه مرفوع ومسند إلى الرسول ﷺ لأنه بإطلاقه لا يفهم منه إلا من إليه الأمر والنهي وهو رسول الله ﷺ.

وتخريج الشيخين له يفيد صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ(14) ومن هنا يجتمع في الحديث ثلاثة أمور:

- إسناده إلى الرسول ﷺ المستفاد من صيغه "أمرنا ونهينا".

- صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ المستفاد من تخريجه في الصحيحين وغيرهما.

- صيغة الأمر الصريح "أمرنا".

هذه العناصر الثلاثة مجتمعة تفيد الوجوب الذي يشمل المأمورات السبعة(15).

ب- إن وجوب نصر المظلوم ليس واجبا عينيا بل هو واجب كفائي مما يفيد أنه أكثر تاكيداً، لأن الواجب العيني(16) قد يفعله من وجب عليه وقد لا يفعله، فإن لم يفعله فلا يكلف به غيره بينما الواجب الكفائي لا يكلف به أحد بعينه ولكن يكلف به المجموع على الكفاية إذا قام به من تتحقق به الكفاية أجزأ بصرف النظر عمن قام به فإن لم يقم به أحد أثم الجميع ولم تبرأ ذمة أحد وإن قام به البعض ولم تتحقق الكفاية لم يسلم من الإثم إلا من قام بما يجب.

ج - إن نصر المظلوم من مميزات المجتمع المسلم وآدبه العامة التي ينطبع بها ويتميز بها عن غيره من المجتمعات، آداب تقوي من الروابط ما تجعل من حماية المسلم في دمه وماله وعرضه (كرامته) مسؤولية عامة يتحملها الخاصة والعامة.

د- نصر المسلم حق ونصيب قال تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾(17).

هـ- قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: فآتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة".

و- **نصر المسلم أمر محكم لم ينسخ ولن ينسخ(18) لأنه من أصول الأخلاق وأصول المعاملات ولأنه قيمة إنسانية ذاتية لا تمليها ظروف خاصة تزول بزوالها بل ولا تبلى بسبب من الأسباب بل هي باقية ما بقي اجتماع بني الإنسان وحاجتهم إلى والخلطة(19) والاشتراك(20).**

خلاصة:

يستفاد مما سبق التركيز على ثلاثة أمور هي بمثابة أصول في العلاقات الانسانية بين المسلمين وبين غيرهم أيضا.

■ **الأصل في المسلم كف أذاه عن غيره :**

إن الأصل في الإنسان المسلم أن يتقي الاعتداء -قدر الإمكان- على أي كائن ذي كبد رطبة. فهو أن يتقي الاعتداء على الإنسان أحرص، وأشد من ذلك حرصا أن يتقي الاعتداء على دم أو مال أو عرض مسلم..

وهذا الموقف على إيجابيته لا يكفي دائما، فإن الاعتداء على المسلم قد يأتي من مسلم آخر أو حتى من غير مسلم فهل يكتفي المسلم بأن يكف شره عن أخيه؟ ولا يبالي به إن جاءه الشر من غيره؟

وهل يقول: إن الأمر على الكفاية فلِمَ أتحمل النتائج المباشرة وحدي؟..

لا بد له من التدخل في حدود طاقته لنصرة أخيه! وهذا هو الأصل الثاني :

■ **الأصل في المسلم نصر أخيه ودفع الأذى :**

لا يليق به أن يبقى مكتوف الأيدي.. ولا أن يمر غير مكترث: قال ﷺ : «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»(21) إن الأمر على الكفاية نعم، ونصر المسلم مسؤولية الجميع لكنها تختلف من شخص لآخر.. ولا يمكن أن تُسوّي الشريعة فيها بين الشاهد والغائب ولا بين القادر والعاجز..

■ **الأصل في أوامر الشرع ونواهيه جليلها ودقيقها تمتين الروابط وتقوية**

تتمة : ص 17

ملحق خاص

المحجة

المفضل فلواتي
المدير المسؤول

almahajjafes@gmail.com

العدد : 377

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج جامعة نصف شهرية

10 جمادى الأولى 1433هـ - 02 أبريل 2012 م

هذا الملف

لا خير في أمة لا تخدم أدَبَها ولا خير في أدب لا يخدم أمته

الأدب لسان حال الأمة في الأمور المهمة والخطوب المدلهمة، يعبر عن آلامها وآمالها، وعن أفراحها وأقراحها، ويعبر عن تصوراتها وتصرفاتها، ويدعم قيمها وأخلاقها، ينقل أخبارها عبر الأزمنة والأمكنة على وجه التدقيق والتحقيق، ويكشف عن المشاعر والوجدان عبر الحكمة وسحر البيان، تجد فيه ذات كل إنسان ما يحقق الوجود ويملأ الوجدان حتى إنه ليصح أن يقال : إنما الأمم آدابها، لأنها ترجمان ألبابها، وبها نيل أوطارها ومآربها، لذلك فلا خير في أمة لا تعنى بآدابها ولا خير في آداب لا تخدم قضايا أمتها.

ولقد أدركت أمة المسلمين منذ بعثها الله برسالة الإسلام قيمة الأدب في تهيئة النفوس لاستقبال كلمة الحق بحق الكلمة، وفي الدعوة إلى الخير والفضيلة والحكمة، فكان الأدب لا ينفصل عن الدين: فبالأدب فُهم الدين وأدرك الناس مقاصده وأسسوا قواعده، وبالأدب دُعي إلى الدين ورغبت فيه الأمم واستنهضت الهمم، وبالدين استقام الأدب على النهج القويم، وأبدع أهله الأدب الصحيح السليم، واتسع الاهتمام به فكثر أناسه، وتنوعت أجناسه وجادت وطابت أنفاسه، فصار الأدب قولا بليغا لأنه ينهل ويصدر عن القول البليغ القرآن الكريم، وكان كلما تشبعت النفوس بالقول البليغ صلح أدبها وجاء على وزان الرؤية القرآنية للكون والحياة والمصير تفكيرا وتعبيرا وتدبيرا، وكلما ابتعد أهل الأدب عن هذا القول البليغ تناءت بهم السبل وخرجوا عن الفطرة وأفسدوا وإن راموا الإصلاح.

وعلى العموم فقد مرت الأمة في تجربتها التاريخية بمرحلة تواشج فيها الأدب مع الإسلام تواشجا عميقا صعب الفصل بينهما فلم يكن يميز بين الإسلام والأدب، ولا بين رسالة الأول ورسالة الثاني، فكان الأدب إسلاما والإسلام أدبا، ولا بين الحضارة والأدب فالأدب حضارة والحضارة أدب...

ولما ابتعدت الأمة عن هذه الرؤية القرآنية والرسالة الحضارية للدين والأدب، تنازعتها مذاهب الأمم، فبعدت عن أصول الديانة، وفسد ميزانها فتلعثم لسانها وعجز عن الإعراب والإبانة، وفقدت حكمتها، وتضخمت غرائزها، فساء أدبها، وانخلع من ربقة الدين وتحلل من رسالته الحضارية واستحال جوهرا ومظهرا إلى جنس من القول يعسر قضمه أو هضمه، حتى كاد أن يعسر على الطبيب علاج سقمه، فتاهت الأمة ما شاء الله لها أن تتيه، كما تاهت في جوانب أخرى، إذ التيه الأدبي ليس إلا فرعا عن التيه عن أصول التصور والنظر، وانحرافا عن الوجهة الحق في الطلب.

غير أن هذه الأمة كتب الله بقاءها وحكم بأمره الذي لا يرد أن لا ينقطع منها الأخيار، ووعد جل وعلا -ووعده صادق- أنه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد في الناس تدينهم ويعيد إليهم نعمة الوصل ومنحته بعد أن عانوا من نقمة الفصل ومحنته ، فظهرت ثلة من الأخيار تدعو إلى وصل الأدب بأصوله الإسلامية وبروافده الإيمانية، فانشئت الدعوة إلى الأدب الإسلامي وقيد الله له رواحل من أهل الفكر السديد، والنظر البعيد، أحيت روح الأمة بجميل الإنشاد، وقويم الإبداع والإنشاء.

غير أن حاجة الأمة لا تزال قائمة إلى توسيع دائرة الاهتمام بهذا الأدب الإسلامي، وتنشئة أجيالها على النهل من أدبها الجميل للحفاظ على دينها الجليل، والحفاظ على جذوته من الانطفاء، وحماية دعاته من الانكفاء والانطواء، وفي هذا السياق تفتح جريدة المحجة هذا العدد لإحياء الاهتمام بهذه القضية، ونرجو الله العلي القدير أن يجد قراؤنا الكرام في مقالاته ما يحقق المطلوب ويوصل المرغوب، وقبل ذلك وبعده لا نملك إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لكل من أسهم في هذا العدد من كتاب وجنود في الخفاء، ونرجو الله العلي القدير أن يرزق الجميع التوفيق والسداد والهدي والرشاد.

● بقلم : د. الطيب الوزاني

● القول البليغ والأدب الأسمى، القرآن الكريم
د. الشاهد البوشيخي ـــــ ص : 8

● من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة
د. حسن الأمراني ـــــ ص : 9

● الأدب الإسلامي بين الماهية والمنهجية
د. محمد أمهاوش ـــــ ص : 10

● قراءة في نداء الضمير أد. محمد علي الرباوي ـــ ص : 12

● الرافد الطبيعي في الشعر الإسلامي :محمد علي الرباوي نموذجا
ذة. أمينة المريني ـــــ ص : 12

● لنا عودة إلى القصة القرآنية ذة. سعاد الناصر ـــــ ص : 12

● الأدب الإسلامي بين التأصيل والتأسيس
ذ. سعيد ساجد الكرواني ـــــ ص : 13

● قواعد في منهج القصة القصيرة الإسلامية
د. محمد إقبال عروي ـــــ ص : 15

القول البليغ والأدب الأسمى، القرآن الكريم

أ.د. الشاهد البوشيخي

إن الأدب ببساطة هو «قول بليغ»، وكلمة «بليغ» هي لفظة قديمة، كما أنها - في اعتقادي- أقوى من كلمة «فَنّ»، ومن كلمة «جميل»» فقد أقول «قولاً جميلاً»، أو «فنيًا»، ولكنه لا يؤدي الوظيفة التي تؤديها لفظة «بليغ».

فالأدب «قول»، وكونه قولاً واضحًا يُخرج ما سوى القول مُدخلاً كل قول، لكن صفة «بليغ» تُخرج ما ليس بأدب» أي تمنع كل قول لم يصل إلى الحد الذي يكون به بالغًا إلى ما يريد، مُبلغًا ما يريد، أي أنه حامل لرسالة، وهذه الرسالة بلغت حدًا من البيان والتجلي، ومن الجمال والفنية، إلى الدرجة التي تنقل بها المراد نقلاً مؤثرًا غايةَ التأثير، يبلغ أعماق النفوس، ويحدث فيها الأثر البالغ. وإن هذا اللفظ بهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾(النساء:63)، فهو من البلاغة، ولكنه ليس هي» لأن البلاغة في هذا القول البليغ في الآية تتجه إلى معنى بعينه، يؤثر في النفوس تأثيرًا خاصًا لا بهذا المعنى العام، فبين هذا وذاك خصوصٌ وعموم. إذن فـ«القول البليغ» يدخل فيه كل الأدب بجميع أجناسه.

ما هو القرآن؟

كل أدب هو «قَولٌ بليغٌ»، أما القرآن فهو «القول البليغ». والقرآن وصَف نفسه في آيات بأنه «قَوْلٌ»، و«قَولٌ بَليغ»، و﴿قَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾(الطارق:13)، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ. وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ (الحاقة:41- 42)، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾(التكوير:19) على أنه قول جبريل عليه السلام من جهة النطق به، كما أن القرآن نفسه يرشد في آية أثارت انتباهي على أنه «القول»، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص:51). هذا هو «القول» من جهة، فما هو القول؟ يمكن أن نتبين أنه القرآن الكريم **هو القول من جهات: أنه أصل القول، وحق القول، وكل القول.**

فمن جهة أنه «أصل القول»» فلأن كلمات الله تمت منذ البدء: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الأنعام:115)، ولأن أيَّ قول جاء بعد قول الله سبحانه وتعالى للإنسانية، أيْ لابن آدم المشار إليه في لفظ «الهدى»: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾(البقرة:38)، هذا هو الهدى، هو أصل القول في الأرض، وما من نقطة في الأرض إلا وصلها قول من هذا القول: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:24).

فالقول في نقط من الأرض هو من الأثارة من العلم، تلك الأثارة التي تبقَّت عبر الزمن من القول الذي نزل. فأصلُ «قول»، أي «أصل القول الذي يستحق أن يسمى القول»، وبهذا التعريف بـ«ال» هو من هذا القول، أي ما فيه من حق ومن صواب ومن جمال مما به تأهّل أن يكون قولاً بليغًا.

ومن جهة أنه هو «حق القول»» لأن من القول ما ليس من حق القول، والقرآن جَمَعَ القول كله منذ بدأ نزول هذا القول حتى انتهى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(المائدة:48). فما سبقَ من القول هو بعضٌ من كلٍّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾(آل عمران:23). أما القرآن فهو الكتاب: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾(البقرة:1- 2)، وقد هيمن على ما تقدم وصدَّق ما تقدَّم من الكتاب. **فحق القول» في الأرض - الآن- مجموع في القرآن، ولا يوجد كتاب ولا مصدر فيه الحقُّ المحضُ الخالصُ إلا القرآن.**

ومن جهة أنه هو «كلّ القول»» أنه بمثابة أمّ الكتاب، وأمّ القول، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام:38)، بمعنى أن **الكليات والأساسيات التي توجه القول في هذه الدنيا مطلقًا توجد في هذا القو ل الذي هو القرآن الكريم، وإنما تحتاج إلى أن تسري في العروق، وتحتاج إلى أن يتضلع منها لتتمكن من الذات، فيصبح القرآن بعد أن تفاعل مع الإنسان كأنه نبراس طبيعي له، بعد أن تمكّن منه القرآن وتمكّن هو من القرآن، إذ ذاك لا يبقى نقاش في كيفية التلقي ولا في كيفية التنزيل، لأن الاتحاد بالقرآن وحلول القرآن في العبد، صار إلى الحد الذي فيه كما يقال: «صار العبد قرآنًا يمشي».**

إن المستوى الرفيع من العبد الذي صار قرآنًا يمشي، إنما تمثل في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أشارت إليه عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلُقه فقالت: «كان خُلُقه القرآن». وبقي هذا الخُلُق في أصحاب رسول الله ﷺ وإخوانه، وقد ذهب الأصحاب وبقي الإخوان، حيث جاء في الحديث المشهور: «إخواني الذين لم يأتوا بعدُ»(رواه مسلم). هؤلاء الإخوان - إخوان الرسول ﷺ - هم أيضًا في درجة الأصحاب، من حيث تشبُّعهم بالقرآن، وتمثّلهم للقرآن، وحياتهم بالقرآن، وهذا ما قصدتُه بـ«كلّ القول».

اللفظ البليغ

أما «البليغ»، فالمعنى من هذه البلاغة غير المعنى الذي يأتيكم للذهن عن كلمة البلاغة، فالجذر اللغوي للكلمة: «يَبلُغ، ويُبلِغ، ويُبلّغ وهو بالغ في النفس بليغٌ». بهذا التمكن التام الذي سببه وجود شروط وخصائص في الكلام، تجعله يُحْدث ذلك الأثر الذي يشبه السحر، وشتان بين المعنى في مادة «بلغ» -لا في الجذر والأصل- التي لا تهتم بالسبب الذي يجعلها كذلك ولا بالواسطة، ولكن تهتم بالأثر في النهاية، كما أن الحديث بهذا الأثر وبهذه النهاية يستلزم ما قبل ذلك استلزامًا.

وحينما نقول عن القرآن: إنه «القول» وإنه «البليغ»، فيمكن أيضًا أن نتحدث عن هذه البلاغة في القرآن من جهات ثلاث: أنه الأجمل، والأكمل، والأفعل.

فمن حيث أنه «الأجمل»» لأنه حتى الآن لم يقدَّر للغة العربية أن تتركب في نص لغويٍ يحمل من أسرار الجمال التي تجبر المتلقي على أن تحدث فيه آثارًا بعينها إلا في القرآن: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق:37)، أي الذي لا حجاب له على القلب، فكلام الله ينفذ إليه دون حواجز، وكأنه مباشرة يتم النطق بالقلب.

والثانية أنه «الأكمل»» أي أن بلاغته - بهذا المعنى الذي نتحدث عنه- لا علاقة لها بجزئيات بعينها، وإن كان كلّ مركّب في الأصل مجموعة من الجزئيات، ولكن قد يتعذر علينا أن نتبين كلَّ الجزئيات، فالخصائص إنما تكون للمركب لا للجزئي» ففي الكيمياء نجد أن الماء لا علاقة له بالأوكسجين والهيدروجين -على سبيل المثال- وإن كانا هما الأصل، ولكن الذي له خصائص الماء إنما هو الذي يتركب من كل ذلك. فالمضمون والشكل وكل المكوّنات - كيفما كان نوعها في هذا القول- تصل إلى حد الكمال البلاغي من خلال علاقات التركيب.

وبهذا الكمال البلاغي تأتي الخاصية الثالثة» أي أنه «الأفعل»، بمعنى الذي يحدث في النفوس فعلاً لا يفعله سواه. فنحن نعلم أن لهذا أصلاً واضحًا هو أنَّ ابن آدم مركَّب من طين وروح: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾(ص:72-71)، وهذا النفخ ليس خاصًا بآدم عليه السلام، فإن كل وليد بعد أن تمرَّ الأشهر التي يدخل فيها الجنين أربعين يومًا يكون نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة، ثم يرسَل إليه الملك لينفخ فيه الروح... ذلك السر الذي عندما يغادر قسم الطين (الجسد)، يبقى الإنسان كما هو، ولكن كل شيء فيه معطَّل» الأعين حاضرة ،والآذان حاضرة، واليدان والرجلان... والقرآن هو قوت ذلك السر، فلا يمكن للقسم الروحي في الإنسان أن يتغذى بغير هذا الغذاء، والحاجة إلى هذا الغذاء أكثر من الحاجة إلى الغذاء العادي، أي غذاء الطين. نفهم هذا -ببساطة- من إجبارية الصلوات الخمس في اليوم» لأن الصلاة في الأصل صلة، وعمود هذه الصلة الوحي. فهذه الإجبارية تعني أنَّ جوع الأرواح أخطر من جوع الأشباح بكثير، وأن العبد إذا لم يغذِّ روحه خمس مرات، فإنها تدخل بجدارة في عالم الأموات. والقرآن يعبّر عن الذي لا اتصال له بهذا المعنى بـ«الميت» مباشرة: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام:122)، وجاء في الحديث الصحيح: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت»(رواه البخاري).

إذن، لماذا يغذي القرآن الأرواح؟ لأنه هو في حد ذاته روح، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(الشورى:52).

فلا غذاء للروح إلا بالروح، وحين يُستعذَب كلام وتعجَب به الروح الطيبة إنما لما فيه من هذه الروح، فيكون للحديث شيء من الأثر يشبه آثار القرآن، لأن الرسول ﷺ يقول: «أوتيت القرآن ومثله معه»(رواه أبو داود)، فهو وحي لكنه لا يتلى. وفي كلام الراسخين في العلم الربانيين مَن أثَر من هذا المعنى الشيء الكثير، وتأدية هذا المعنى هي بسبب حضور الوحي وتأثير الوحي في أصل ذلك الكلام. **إذن، فإن هذا القول البليغ هو النموذج للأدب الأسمى من حيث وقعه من هذه الزاوية الأدبية.**

علاقة الأدب بالقرآن

واضح بعدما تقدم من أن الأدب «قول بليغ» وأن القرآن هو «القول البليغ»، أن العلاقات التي تنبني على هذا كثيرة نذكر منها:

1- علاقة الأصل بالفرع: وذلك أن أيَّ قول بليغ -أيْ أدب- هو في إطار ما نتحدث به، يرتفع معناه ويسمو على قدر ما فيه من هذه القولية البليغة، أي على قدر ما فيه من الأدبية التي تتضمن الجانب الشكلي والجانب المضموني في هذا الإطار. الأدبية بهذا المعنى داخل هذا الإطار الذي يجعل القرآن أدبًا أسمى» لأنه لن يصير القول إلا بما فيه من حق، ولذلك فإن ما ليس بحقٍّ، يخرج عن دائرة الأدب. وفي إطار علاقة الأصل بالفرع، أطرحُ نصًا بعينه كما ذكر سيد قطب حينما تحدث عن الشاعر من أنه: «الذي يستطيع غور جوانب بعينها، وكلما تطابق ذلك الشاعر مع الفطرة وتجاوب معها وعبَّر عنها صار شاعرًا كبيرًا». ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(الروم:30)، فالخلقَ فُطِر على كيفية هو متَّجه فيها إلى الحق والصواب دائمًا... هذا هو الأصل كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»(رواه البخاري)، ولم يقل «أو يسلمانه» وتلك هي الفطرة، وفي الحديث القدسي: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فأضلتهم»(رواه أحمد). فالأصل في الخلق والكون هو الفطرة، وهي مرآة الحق والصواب: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾(الأحقاف:3)، هذا هو الأصل في أمر الخليقة، ثم جاء الإفساد: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ (الأعراف:56)، أي بعد إذ سُوِّيت وقُدِّرت

تتمة ص: 8

إن الامتلاء والتضلع من القرآن، وإن الشبع والتشبع بالقرآن إلى الحد الذي لا يبقى فيه انفصام بين هذا العبد وربه» الحد الذي يحاول أن يجعل مِن فعل ما أو فكرة ما قرآنية، هو الذي يؤسس تأسيسًا صحيحًا لإنتاج أدب إسلامي أو ما يسمّى بـ«الأدب الإسلامي»، أو لإنتاج الأدب الحقيقي.

لكي ننتج قولاً بليغًا يتم به في هذا المجال -أي المجال الأدبي- الشهود الحضاري، نحتاج إلى التضلع من القرآن أو استدراج القرآن كما في الأثر: «مَن حفِظ القرآن فكأنما استدرج النبوة بين جنبيه».

القول البليغ...(تتمة)

فيها أقواتُها وضبطت ضبطًا كاملاً. هذه هي العلاقة الطبيعية» علاقة الأصل بالفرع.

الأصل إذن، هو هذا «القول البليغ» القُرآن، والفرع هو كل «قول بليغ»، وإنما تكون درجة قوليته بليغة على حسب قربه من «القول البليغ»، أي من الأصل.

2- **علاقة الرؤية بالممارسة:** لكي يستطيع المسلم إنتاج قول بليغ، فإنه يحتاج إلى أن يتمكن من الرؤية القرآنية في كيفية سير الأمور في هذا الكون» لأن القرآن يصف واقع الأشياء وسنن الخلق» كيف هي وكيف تتطور وإلى أين تصير... كل ذلك مضمّن في القرآن. فإذا تمكّن المسلم من الرؤية العامة للقرآن الكريم، فداخل إطارها يبني ممارسته» أي يكتب أو ينتج لونًا من التفاعل بين ما استوعبه من الرؤية القرآنية -بالتفاعل بينها- وبين ما حوله من الأكوان، ثم يخرج النتيجة إلى الناس قولاً بليغًا على صورة ما. ولذلك أقول: إن الامتلاء والتضلع من القرآن، وإن الشبع والتشبع بالقرآن إلى الحد الذي لا يبقى فيه انفصام بين هذا العبد وربه» الحد الذي يحاول أن يجعل من فعل ما أو فكرة ما قرآنية، هو الذي يؤسس تأسيسًا صحيحًا لإنتاج أدب إسلامي أو ما يسمّى بـ«الأدب الإسلامي»، أو لإنتاج الأدب الحقيقي.

3- **علاقة الذاكرة بالذكر:** ثَمَّ علاقة أخرى ترجع إلى الأصل الكبير ويمكن أن نسميها بـ«علاقة الذاكرة والذكر». فالقرآن خزَّانٌ ضخم للكليات وللأساسيات وللتجارب العظمى في التاريخ، فالقصص القرآني جملةً -سواء كان قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين أو كان قصص الطغاة والظالمين وغير ذلك- هي خزَّانة لكليات التجارب في التفاعل بين القرآن بمعنى القول» أيْ كلام الله، وبين الكون عبر قناة الإنسان وواسطته.

إذن، فإن الكليات أقوالٌ، سواء كانت في الصورة القصصية أو الفعلية أو في الصورة القاعدية (القواعدية) أو في الصورة المقاصدية، كل ذلك مضمَّن في هذا الكتاب، ومن ثَمَّ صار بمثابة ذاكرة ضخمة جمعت الكليات والأساسيات منذ بدء الكون حتى الآن مما ينفع الناس. هذه الذاكرة الضخمة تحتاج إلى ذكر لها، ولكنه ذِكْرٌ بغير المعنى الذي سميت الذكر بعد، يعني الرجوع إليها لاستلهام الأدوات والوسائل واللوازم العامة لإنتاج قول بليغ. هذه الذاكرة الضخمة جدًا موجودة لننتج قولاً بليغًا، أي لنذكر الله. فنحن -اليوم- نحتاج إلى هذه الذاكرة لتحصيل الذكر.

الخاتمة

إذا أردنا أن نتجاوز اللحظة الحالية بالتجارب في نقط كثيرة من الأرض - وهي تجارب الخير- وإذا أردنا فعلاً ما يسميه البعض «الشهود الحضاري» كي نعود من جديد إلى التاريخ روادًا وقادةً... لا سبيل إلى ذلك من غير أن نمثل الخصوصية التي هي في حقيقتها داخل الإطار الذي نسميه العددي وهي العالمية» لأنها هي التي تلتقط ما في الفطرة من خصائص لتخرجها وتمثلها فيها، وابن آدم كيفما كان نوعه في الأفضلية ميسَّر لما خُلق له وهو العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:56)، وما زُوِّدنا به من التجهيزات الضرورية، إنما لنؤدي هذه الوظيفة» **فلكي ننتج قولاً بليغًا يتم به في هذا المجال -أي المجال الأدبي- الشهود الحضاري، نحتاج إلى التضلع من القرآن أو استدراج القرآن كما في الأثر: «مَن حفظ القرآن فكأنما استدرج النبوة بين جنبيه».**

من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة

د. حسن الأمراني

هل أدركت الحيرة الأدب حقا في عصر العلم، كما يرى عثمان نُوَيه، وهل فقد الأدب رسالته أمام هذه الثورات العلمية الهائلة التي تكاد تذهل الإنسان عن نفسه؟ أم أن الإنسان اليوم صار بحاجة أكثر إلى ظل يأوي إليه من لأواء المدينة وهاجرتها؟ وهل توقف الأدب عن رسالته في الحضارات السابقة، وهي حضارات بلغت ما بلغت من الرُّقي الذي يكاد يقف الإنسان اليوم في نهاية القرن العشرين من منجزاته مذهولا، حتى يتوقف عن رسالته اليوم؟ ويحدثنا القرآن الكريم عن حضارات سالفة بلغت من الآثار والقوة والرسوخ ما لم نبلغه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(غافر: 82).

لقد أوتي داود، وذريته من بعده، ملكا عظيما وألان الله له الحديد، وصنع حضارة مادية خارقة، وكذلك حال ولده سليمان عليهما السلام، بل لقد أوتي سليمان ما لم يؤت أحد من العالمين، لقد آتاه الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وبلغت حضارته ما لا يمكن تصوره اليوم على الحقيقة، لا في سرعة الاتصال المسموع والمرئي فحسب، بل العيني أيضا، وتشهد على ذلك، إن كان الأمر بحاجة إلى شهادة، قصته مع بلقيس ملكة سبأ، صاحبة العرش العظيم، بالوصف القرآني.

ومع ذلك كانت مزامير داود، رمز الروح والأدب والفن، وكان إعجازها الباهر، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾(الأنبياء: 79)، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾(سبأ: 10). وبقي على الدهر من عهد سليمان نشيد الإنشاد، أو بقي ذكره على الأقل، إذا كانت صورته المتداولة اليوم لا يجوز أن تنسب إلى نبي من أنبياء الله تعالى. وكل ذلك دليل على ضرورة تضافر أشواق الروح وصرامة المادة من أجل بناء حضارة إنسانية متزنة ومتوازنة.

هذا، ويصف كولن ولسن الواقع الحضاري المعاصر فيقول: +لقد بلغ الإنسان مركزه الحالي الرفيع في هذا العالم بفضل كونه أكثر المخلوقات عدوانية وعشقا للمغامرة في الأرض. وها هو الآن بعد أن خلق لنفسه حضارة يسرت له الرفاهية، يواجه مشكلة لم يكن يتوقعها. فالحياة المريحة تنقص من قدرته على المقاومة والصمود، وبالتالي يجد نفسه مترديا في حمأة تنعدم فيها البطولة. (الشعر والصوفية، ص: 8)

ويتحدث عن الشعر الذي يمكن أن يكون حلا لهذا الواقع المتردي فيقول: «والشعر يجلب راحة عاطفية في طريق التخييل، وهو يعلم الإنسان الثناء، لا عن طريق الإشارة إلى عجائب الكون، كما يفعل العلم، بل بفضل خلق خيالات تحقق رغباته»(م.س، ص: 28).

هذه الرسالة التعليمية هي التي أكدها تراثنا العربي، وقد قال أبو تمام:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بُناةُ العلا من أين تُؤتى المكارم

كانت الحضارة العربية قبل الإسلام حضارة أدب، يحتفل العربي بالبيان ويحتفي به احتفاء عظيما، ويحدثنا ابن رشيق القيرواني عن منزلة الشعر خاصة، والبيان بعامة، عند العرب فيقول: «العرب أفضل الأمم، وحكمتها أشرف الحكم، لفضل اللسان على اليد..» (العمدة، 72/1) وقال مبينا مكانة الشاعر العربي في قومه: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك...»(العمدة، 153/1) إلى آخر ما ذكر من مظاهر الاحتفاء. وما ذلك إلا لما كان يقوم به الشاعر من دفاع عن قبيلته ونشر لمحامدها وتخليد لذكراها في الصالحين.

ولكن الشاعر الذي كان يجد من قبيلته حل مظاهر الاحتفاء قد يتحول فيصبح وبالا عليها ولعنة، ويجر عليها من المخازي شيئا كثيرا. كما أن قصيدة من شعره قد تشعل حربا ضروسا تأتي على الأخضر واليابس، وقد يكون الشعر وبالا على صاحبه، وقد ذكر ابن رشيق، أيضا

قد أسس الإسلام، قولا وفعلا، أدب الحضارة، فجعل الأدب رساليا، ونزهه عن العبث، وتلك خصيصة من خصائص الإسلام التي تشمل الوجود كله، فكيف إذا تعلق الأمر بالكلمة التي جعلها الإسلام مدار الحياة في الدنيا، وبها تتأكد المنزلة في الأخرى، إذ لا مجال للفوز والنجاة إلا بتكريم الكلمة التي أعلاها كلمة التوحيد.

عددا من الشعراء الذين كان شعرهم سببا في مصرعهم.

ولكون حضارة العرب في الجاهلية حضارة أدب، لم يكن يعنيها الحق بقدر ما كان يعنيها الدهشة وما يحمله الأدب في نفسه من صفات تدعو إلى الإعجاب، فكان بعض ذلك الأدب حاملا لقيم الباطل والانحراف والشر. وارتبط كثير من البيان بالكهانة والسحر، وكانت زمزمة الكاهن وجها من أوجه ذلك... إلخ.

ولما جاء الإسلام صحح هذه العلاقة، علاقة الأدب بالحضارة، فاستنكر رسول الله ﷺ سجع الكهان، لما يحمله من قيم الباطل وما يسقطه من الحق، ونعى القرآن الكريم على فئة من أهل البيان زُخرف القول، وجعله مرتبطا بالشياطين، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾(الأنعام: 112-113).

وقد أسس الإسلام، قولا وفعلا، أدب الحضارة، فجعل الأدب رساليا، ونزهه عن العبث، وتلك خصيصة من خصائص الإسلام التي تشمل الوجود كله، فكيف إذا تعلق الأمر بالكلمة التي جعلها الإسلام مدار الحياة في الدنيا، وبها تتأكد المنزلة في الأخرى، إذ لا مجال للفوز والنجاة إلا بتكريم الكلمة التي أعلاها كلمة التوحيد.

ولم تكن توجيهات رسول الله ﷺ للشعراء غير تأكيد لهذا التوجه الرسالي للكلمة الجامعة بين الحق والجمال، فلم يعد الجمال نقيضا للحق، بل مؤازرا له ومتمما، ولا جمال أصلا إلا مع الحق. وكذلك انتهت تلك الثنائية المجحفة النكدة التي تتساءل: أيهما أولى، المتعة أم الفائدة، الحق أم الجمال؟.

ولكن الأدب العربي، أصابته بعد ذلك- في مراحل معينة من تاريخه- مظاهر من الانحراف، إما بفعل التآكل الداخلي، وإما بفعل العوامل الخارجية نتيجة الاستضعاف الحضاري.

واليوم وفي هذه المرحلة من تاريخنا المعاصر، وفي ظل العولمة وآثارها، والتجاذب بين الحوار الحضاري وصراع الحضارات وما ينتج عن ذلك كله من آثار تنعكس سلبا وإيجابا على كياننا الحضاري **نحن مدعوون إلى تصحيح مسيرة الأدب، والانتقال من حضارة الأدب إلى أدب الحضارة، من أجل أن نجعل الأدب مساهما حقيقيا في البناء الحضاري الذي لا يستكمل شروطه الإنسانية إلا بالعناية بالروح، ومن أعظم تجليات تلك العناية الروحية العناية بالأدب والفن.**

ولا بأس من الاستعانة مرة أخرى بكلام لكولن ولسن، وهو يتحدث من داخل المدنية الغربية ويرى آثارها المدمرة، ويبحث عن ملاذ في الشعر الذي هو قرين التصوف: «إن الرؤيا الصوفية تتم حين يزاول الإنسان نظرة عصفورية على الحياة. أي حين ينسحب منها، ولو للحظة واحدة، فيرى منها قدرا أكبر، بدلا من بقائه محصورا ضمن البؤرة الضيقة، بؤرة نظرته الدودية المعتادة». (الشعر والصوفية، ص: 42).

إن التوازن في كل شيء شرط حضاري، فالحياة التي أرادها الله تعالى حياة قويمة تحقق الاستخلاف الإنساني في صورته المثلى، إنما تقوم على الزوجية، لا على الثنائية التي تفرض الانتصار لعنصر من العنصرين، الثنائية تضاد، والزوجية تكامل، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾(الذاريات: 49-50). وهذا الإطلاق (ومن كل شيء) خليق بأن يبصرنا بحقائق الأمور المادية والمعنوية على السواء، كما أن من مظاهر ذلك الفرار إلى إقامة سننه. **ونحن إنما وقعت نكستنا الأدبية يوم غفلنا عن هذه الحقيقة، وعطلنا سنن الخالق في الخلق، فجنح بعضُنا إلى الثنائية المانوية بدلا من الاستعانة بقانون الزوجية. ورحم الله أبا الطيب القائل:**

**وكم لظلام الليل عندك من يد
تخبر أن المانوية تكذب**

وعلى أساس تلك المانوية المختفية ظهرت المفاضلة بين المنظوم المنثور، والمعني والمبني، والشكل والمضمون، والوضوح والغموض، والمتعة والفائدة، والحق والجمال، والذاتية والموضوعية، والفردية والجماعية، والحرية والالتزام، وما إلى ذلك من الثنائيات التي انعكست على الأدب ومجالاته. وهكذا، بدلا من البحث عن خصائص كل عنصر ووظيفته وضرورته وعلاقته بطبيعة القول الأدبي، جنح الجانحون إلى إثارة المعارك الوهمية التي ألهتهم عن تحديد عناصر المعركة الحقيقية المتمثلة في طبيعة الأدب ورسالته، ودوره في البناء الحضاري.

الأدب الإسلامي بين الماهية والمنهجية

د. محمد أمهاوش(*)

أولا– في تحديد ماهية الأدب الاسلامي :

الأدب الإسلامي مقام مفهومي تتعدد فيه الأسئلة وتتنوع بالنظر إلى أهمية المفهوم في ذاته، وبحكم علاقاته المصطلحية والدلالية والمفهومية، واعتبارا لاختلاف الرؤى بين مقتنع منتج، ومعارض منكر على هذا الأدب وجوده وخصوصياته

وإسهاماته في الحياة الأدبية والفكرية والعامة.

ومن ذلك أسئلة الماهية بالنظر إلى ما يحيل عليه من تميز إبداعا ونقدا؛ ذلك أن **الأدب الإسلامي كما تواتر أو كاد لدى أهل هذا الفن هو: التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي(1).**

فهو تعبير بالكلمة الطيبة (غير الخبيثة، أو المغرضة، أو الماكرة...) يروم الإفادة، والإقناع، والإمتاع في آن. وهو مطلب جليل يبعث على تحمل مسؤولية الأداء على الوجه المطلوب تفكرا وتخيرا.

وهو إبداع فني يراعي المقومات الفنية للإبداعية الشعرية والسردية والحوارية...، والأسس النظرية والمنهجية للمقاربة النقدية التفسيرية والحجاجية...

وهو إبداع هادف يراعي مقتضيات المسؤولية والالتزام، منخرط في الحياة العامة للإنسان بما هو استعدادات أولية، وحاجات نفسية، وضرورات مادية، وطاقات عقلية، وكمالات روحية، ومقتضيات ثقافية وحضارية تؤهل لأفعال إبداعية كاشفة عن جوانب من الحياة العامة والخاصة، وأعمال دالة على الخير والصلاح، ورؤى تضع المعالم في الطريق لتضيء السبل للمُدْلجِين، والمتاهات للحائرين، بما توفر من معارف عن بحث، ومهارات عن مراس، وخبرات عن تجارب، وآفاق عن بصيرة.

وهو من قبل ومن بعد صادر عن تصور إسلامي كلي ودقيق ومحيط عن الإنسان الكائن الحي والمركب العجيب الغريب، والكون الممتد في آفاقه، العميق في أبعاده، والحياة الزاخرة بالثوابت والمتغيرات لمن اتسع قلبه للخير، وسمعه للصواب، وعقله للتأمل في الأنفس والملكوت، ونظره لامتدادات الأفق البعيدة دون إغفال العالم القريب البسيط.

إنه تجل من تجليات الرؤية الإسلامية، وتناغم مع المذهبية التي ارتضاها الله لعباده.

وللتنظير في هذا المجال الأدبي موقع سَنِيٌّ يدل عليه حاله ومآله.

وهو فكر نقدي يتراوح بين التنظير للأدب، والتنظير للنقد. ويميز فيه بين الأدب الذي يكتسي طابعا إبداعيا، والنقد الذي يتسم بطابع خاص من حيث اشتغاله على الأدب وفق أطر معرفية ومنهجية واصفة ومحللة ومقومة، على اختلاف بين أهل هذا الأمر تعميما وتخصيصا.

ثم إن التنظير كما تدل عليه أسرته الاشتقاقية والمفهومية ذو أهمية بالغة ومعقدة، حيث إنه يحيل، من بين ما يحيل، على الجانب الصوري والتجريدي من العملية الفكرية، وعلى التأسيس الفكري والبناء العلمي معطيات وفرضيات، وفق منطق عقلي، ونسق منهجي مطرد في عمومه، شامل ومتكامل.

ولما كانت عملية التنظير من أعقد العمليات صوريا وإجرائيا، فإن التصدر لها تأسيسا وبناء ونقدا لا يتأتى إلا للباحث المتخصص الذي تلتقي في شخصيته الكلية المعرفة العلمية النظرية والعملية.

ولذلك فإن الوعي بالمسالة النقدية في مستواها التنظيري وفي أبعادها المعرفية والوظيفية، سيضاعف السعي إلى تأسيس نظرية للأدب الإسلامي وللنقد الإسلامي، وهما عند النظر قضية واحدة، نظرية متميزة، قادرة على تقديم البدائل بما يناسب ويفيد، وعلى التفاعل مع معطيات العصر على بينة وبصيرة، والتأثير الإيجابي والفعال في الآداب العالمية التي يشكو كثير منها إشكالات على مستوى الخلفيات، والمقصديات، والمسارات، والآليات...

والتنظير، كما يدل عليه وضعه الاعتباري وكما ينبغي أن يكون، مقتضيا التطبيق، داعياً إليه إن أريد التأصيل، والتجريب، واستكمال الرؤية على بصيرة تتجاوز النظر الفكري إلى الدراسة العملية، والتناول الإجرائي عبر التأليف الإبداعي والنقد التطبيقي.

وللتطبيق، كما يرى نجيب الكيلاني، وهو من أهل هذا الميدان إبداعا ونقدا، أهمية كبيرة على المستويين المفهومي والتعريفي في أفق الأجرأة، ذلك أنه «يفتح الباب واسعا أمام النقاد ومؤرخي الأدب ليضعوا التعريف والمفهوم الصحيح للأدب الإسلامي»(2).

ثم إن النقد التطبيقي في نظر عماد الدين خليل، وهو أيضا من فرسان هذا المجال المبدعين والمنظرين والممارسين، يشكل للمبدع «الزاد اليوم، والوقود، والضوء معا. وبدونه لن يعرف الأديب مواقع قدميه، ولن يحصل -في الوقت نفسه- على الزيت الذي يمكنه من مواصلة السير»(3).

وكل ذلك يقتضي رؤية منهجية واضحة المعالم، محددة الأغراض، بينة السبل، ميسرة الوسائل...

ومن مقوماتها وخطواتها لكي تستوي التجربة وتتميز، كما يرى نجيب الكيلاني: التجميع، والدراسة نقدا وتقييما.

وهذا «ليس في استطاعة فرد أو مجموعة محدودة. ولهذا أنشئت "رابطة الأدب الإسلامي" ولها الآن برامج وخطط عمل موسعة على امتداد الرقعة الإسلامية، لكن الأمر يحتاج لجهود كبيرة مضنية»(4).

ومنها كما ذكر عماد الدين خليل في معرض الدعوة إلى إنجاز ديوان الشعر الإسلامي الشامل لكل ما قيل في تاريخنا الأدبي في ضوء معايير نقدية إسلامية محددة سلفا: الانتقاء، والتجميع، والفرز، والتنسيق، والدراسة، والتحليل، والنقد(5).

وبين التصورين قواسم مشتركة تروم الأجرأة وفق ضوابط العلم ومقتضياته على الوجه المعتاد دون إيغال في التعقيدات المنهجية التي قد تأخذ من الجهد أكثر مما تمنح من العطاء.

ثانيا– في تحديد المنهج :

ومن المناهج المؤهلة للدراسة المفهومية لهذا الأدب، في نظرنا، النقد المصطلحي.

والنقد المصطلحي(6) كما نرى مفهوم مركزي في نقد النقد، وفي علم المصطلح، يلتقي فيه الانشغال بأمر المصطلحات والمفاهيم في إطارها النظري العام مع البحث في مصطلحات ومفاهيم مجال علمي محدد. وهو لذلك دراسة يجتمع فيها التنظير والتطبيق في صعيد واحد.

إنه دراسة الذوات المصطلحية وفق رؤية مصطلحية.

ويقتضي من بين ما يقتضي تخصيصا لا تفصيلا:

- الرصد والإحصاء المصطلحي والنصي، جردا للمعطيات وتدقيقا لمؤسسات النظر في الذوات المدروسة.
- التصنيف المصطلحي والدلالي وفق رؤية مفهومية واضحة تستفيد من اتجاهات علم المصطلح اللغوية والموضوعية والفلسفية.
- قراءات: أولية في التمثلات.../ ولغوية في الأسرة اللغوية / ومفهومية في امتدادات المصطلح الدلالية والمجالية... بما ييسر للنظر مداخل مناسبة للتأطير والتبئير.
- التحليل تفكيكا للعبارات، واشتقاقا للدلالات. وهو تحليل يروم تدقيق صياغة التعريفات، وبيان الخصائص والأحوال وغيرها مما يجلي المفهوم في جزئياته اللغوية والدلالية والمجالية.
- التركيب لما فكك، وفصل، وفسر، واستخلص...
- النقد العام مصطلحات، ودلالات، ومفاهيم، وتعريفات، وقضايا...

والأدب الإسلامي رغم كثرة ما قيل فيه وعنه مقتض إنتاجات، ودراسات في سياق المتغيرات الإبداعية والنقدية في عالم الفكر العام.

وهو جهد كفيل بالإسهام الجاد والهادف في ارتياد آفاق جديدة، وتشغيل آليات متجددة، وتفعيل مقتضيات قائمة بما يفيد ويقنع ويمتع. وكل ميسر لما خلق له.

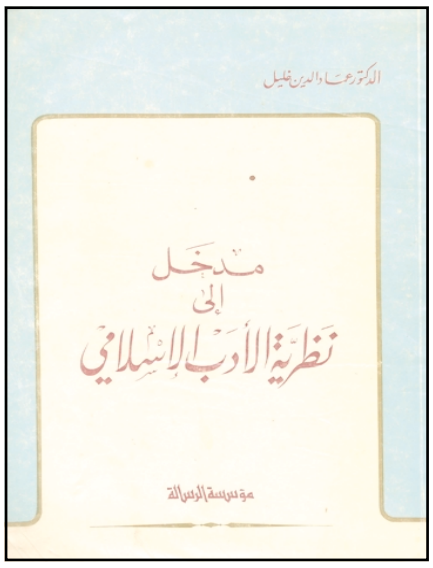

(*) مفتش تربوي بالتعليم الثانوي التأهيلي نيابة إفران

1- هذا تعريف رابطة الأدب الإسلامي العالمية للأدب الإسلامي. انظر شبهة المصطلح للدكتور عبد القدوس أبو صالح، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 8/1995، ص 8.

وممن أولى تعريف الأدب الإسلامي عناية خاصة محمد حسن بريغش في كتابه: الأدب الإسلامي أصوله وسماته، دار البشير، عمان، ط1/1992، ص 107 وما بعدها.

2- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 78، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/1985.

3- حوار مع عماد الدين خليل، مجلة المنعطف، ع 7-6/1993، ص 203.

4- حوار مع نجيب الكيلاني، ملحق بكتابه: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية،ص 152، دار ابن حزم، بيروت، ط1/1991.

5- محاولات جديدة في النقد الإسلامي، ص 40 و 99، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1/1981.

6- انظر لمزيد من البيان النظري والعملي كتابي: قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، الدكتور نجيب الكيلاني نموذجا، مطبعة عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1/2010، ومقالتي: النقد المصطلحي: الرؤية المفهومية والمنهجية، مجلة علامات،المجلد 16، الجزء 64، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 2008، ص 13-7.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما ■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها
ترسل الاشتراكات باسم :
● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم : 2111113412900014
أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي : **جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :**
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 -الدكارات -فاس -المغرب

قراءة في نداء الضمير

أد. محمد علي الرباوي

-1-

ماقبل الدراسة

جاء في خاتمة كتابي "الأدب بين الفلسفة والإسلام" هذه الخاتمة:

اتَّضح من خلال هذا العرض، أن الحضَارةَ الغربية تقوم على الصراع بين عنصري كلٍّ ثنائية على الشكل التالي :

العقل/الحس، الجسدَ/الروح ، المجتمع/الفرد، الواقعية/المثالية، النخبة/العامة، السيد/العبد، المضمون/الشكل، الثبات/التحول، القواعد/الحرية، الموضوع/الذات، الوضوح/الغموض، (...)/(...)

وهذا الصراعُ قائمٌ على مستوى المجتمع، وعلى المستوى الفلسفي. والغَلَبَةُ لابد أن تكون لأحد العنصرين. فحين يغلب (أ) فإن قيَمَهُ هي التي تسود في المجتمع، وفي الفلسفة، وفي الأدب. وحين يَضْعُفُ يَسْتَولِي (ب) على السلطة، فيفرضُ قيَمَهُ على المجتمع، والفلسفة، والفكر الأدبي. وحين يضعف يتولى الحكم من جديد (أ) ولكن في ثوب جديد. وبهذا فإن هذه الحضارةَ تقمع المجتمعَ عامةً، والفردَ خاصة؛ لأن عليه أن يسير مع التيار، وإلا رفضته المدينةُ الفاضلة التي شيَّدَتْهَا هذه الحضارة.

أما الحضارةُ الإسلامية فهي لا تعرف هذا الصراع؛ ذلك بأنّها تنظر إلى عنصري العقل والحس باعتبارهما زوجين. وهذا أَسَّسَتْهُ العقيدة، ذلك بأن الإسلامَ حاضرٌ في أي نشاط يقوم به المسلم، ولأن الأمرَ كذلك، فإن الأدبَ المُنْجَزَ في ظل هذه الحضارة، يتحول باستمرار، لكن في إطار ثابت، وهذا ما يفسر غياب المدارس الأدبية.

ثَمَّةَ ثنائيةٌ هامة في الحضارة الغربية، وهي:

الذات والموضوع

الأنا والآخَر.

فالذات/الأنا هي دائما في صراع مع موضوعها/الآخَر. بينما هما في الحضارة الإسلامية متكاملان، والذات تدخل في زواج مع موضوعاتها المتعددة؛ أي: إن الأنا في حضارتنا الإسلامية تتكامل وذوات الآخرين.

يقدم هذا العرضُ، بطريقة غير مباشرة، إجابةً عن ماهية الأدب الإسلامي، كما ندعو إليه بمجلة المشكاة. فهو الأدبُ الخاضع لروح حضارتنا الإسلامية، كما وضحنا في ثنايا هذه الدراسة.

تَحدثنا عن أهمية المُخَاطَب في البلاغة العربية، وبَيَّنا أن النص الديني يُولي اهتماما كبيرا لهذا المُخَاطَب ؛ لأن الرسالة جاءت من أجله. فَلابُدَّ أن يَتَحَوَّل أسلوبُ الخطاب تبعا للمخاطَب المستهدف. وكان الشعرُ العربي المُنْجَزُ في ظل حضارتنا، قائما على البلاغة الدينية نفسها. ذلك بأن أغراضَ الشعر العربي، تتطلب التمسكَ بهَذه البلاغة. فكان النقدُ العربي يقدم للشاعر القواعدَ التي تساعده على تَجويد صناعته؛ لتنال قَبُولَ مَنْ تُوَجَّهُ له. وهذا واضح في العمدة خاصة، حيث يقدم ابنُ رَشيق سُبُلَ المدح، وهي كثيرة. فَلمَدْحِ المَلِك سَبِيلٌ غَيْرُ سبيلِ مَدْحِ السُّوقَة1....

لكن الشعر العربي، في العصر الحديث، عرف تحولات كبرى، أهَمُّها تَخليه عن أغراض الشعر المعروفة، وأصبح يهتم بذات الشاعر في علاقتها بذَاتها، أو في علاقتها بالآخر. ولهذا لَم تَعُدْ هنَاك حاجةٌ إلى ربط بلاغة النص الشعري بالمخاطَب، وإنّما أصبحت الحاجة إلى ربط النص بالتجربة.

فالتجربة هي المتحكمة في شكل النص، وبلاغته. ويتحقق البيانُ حين ينسجم النصُّ الشعري، بِمعناه ومبناه، والتجربةُ المُعَبَّرُ عنها به.

النص الذي سأدرس هو تطبيق لبعض ما جاء في هذه الخلاصة

-2-

الدراسة

اخترت أن أدرس نصَّ صالح خرفي نداء الضمير من خلال مكوناته الجمالية. ويعود سبب هذا الاختيار إلى إعجابي بالقصيدة التي استمتعتُ بها وأنا تلميذ. حاولت تقليد شكلها؛ لأن هذا الشكل هو الذي أخذ بلبي، لهذا وأنا أقدم هذه القراءة فإنما أعود من خلالها إلى طفولتي، ولتحقيق هذا ستتم القراءة العاشقة من خلال :

- العنوان
- النص في علاقته بالعنوان
- شكل النص الشعري
- الخاتمة : الشاعر صالح خرفي

نص القصيدة

يَا حبيبي. ذكرياتُ الأمس لم تَبْرَح خيالي
كيف تغفو مقلتي عن حبنا عبر الليالي
لا تلمني إن ترامت بي أمواج البعاد
لا تلمني لم يزل يخفق للحب فؤادي
غير أن القلب هزته نداءات شجيه
صَعَّدَتْهَا في دجى الليل قلوب عربيه
وجفون مسها الضيم فغصت بالدموع
فاستطارت شعلة الحب لهيبا في ضلوعي
وتراءت لي وراء الصوت أعلامُ البشائر
فَوَهَبْتُ الحب قربانا وبايعت الجزائر
ياحبيبي ربعنا بالأمس ربع الذكرياتِ
إنه مأوى ذئاب كدرت صفو الحياة
كان عشا للتناجي كان أنسا ونعيما
ثم أمسى للرؤى الغضة نارا وجحيما
ياحبيبي كم فرشنا الربع ورودا وزهورا
كم بنينا من هوانا لأمانينا قصورا
فتعالت صرخة الرعب بأشباح المنايا
فاستحال الورد شوكا ودماء وضحايا
ياحبيبي لم أخن عهدي ولا خنتُ هوايا
غير أن الحب أمسى ثورة بين الحنايا
لك حبي في ذرى الأطلس في تلك الروابي
فهناك الأفُق الرحب لأحلام الشباب
لك حبي يوم تعلو بسمة النصر ثرانا
ويذيب الليل والآلام فجر من دمانا
سوف ألقاك مع النصر وأفراح البشائر
سوف نبني عشنا في ظل تحرير الجزائر

1- العنوان :

سننظر إلى عنوان هذا النص الشعري من زاويتين : العروض، اللغة.

نداء الضمير: جاء هذا العنوان على مستوى العروض على بحر المتقارب.فهل يعني هذا أن النص الشعري الذي يحمل هذا العنوان من البحر نفسه؟ هذا ما يتوقعه المتلقي. لكن مفردات هذا العنوان لا تشكل بيتا لا تاما ولا مشطورا ولا مجزوءا. إنها كائن عروضي فقد بعضا من أجزائه.

إذن يحدثنا هذا العنوان، على مستوى العروض عن الفقد. فهل هو مضمون النص الشعري؟

لننظر الآن المستوى اللغوي

بما أن العنوان موزون فهل سيتم التصالح بين البنيتين : اللغوية والعروضية

جاء العنوان مؤلفا من اسمين يشكلان جملة ناقصة، جملة فقدت شيئا أساسيا.

لننظر في وظيفة مكونات التركيب :

يتألف هذا العنوان من مبتدإ بخبر محذوف، أو، من خبر بمبتدإ محذوف. هذا يعني أن التركيب جملة اسمية تامة. لكن الإيقاع العروضي باعتباره قوة جعل التركيب يُحضر المسند ويغيِّب المسند إليه أو في قراءة يُحضر المسند إليه ويُغيِّب المسند.

فالعنوان إذن يقوم على عنصر حاضر يبحث عن عنصر تتحقق الجملة / الحياة به. هل لهذا علاقة بما يقوله النص؟

2- النص في علاقة بالعنوان :

يبدأ الشاعر نصه بنداء الحبيب : هل هذا الحبيب امرأة ؟ أي : معشوقة ؟ أم هل هو الأم ؟ الأخت ؟ الأخ؟ الأب؟ الصديق؟..دائرةُ الحبيب واسعة تشمل كل ما يمكن أن يُنعت في ثقافتنا بالحبيب. بعد صيغة النداء يأتي الموضوع في صيغة نكرة للدلالة على أن الشاعر لا يحدثنا عن ذكريات معينة، وإنما كلُّ ذكرياته هي موضوع هذا النص. يتبين من خلال هذا الموضوع أن المحبوبين منفصلان انفصال المسند عن المسند إليه، أو انفصال القسيم العروضي المشكل للعنوان عن أقسام البيت الغائبة. أي كل حبيب يعيش بعيدا عن الآخر. لكن كل واحد يعيش في ضمير الآخر.

إذا افترضنا أن المنادى هو المعشوقة فإن هذا المدخل يوحي بأننا أمام غزل تقليدي يدور حول الهجر. وأغلب غزلنا العربي قائم على هذا. فالشاعر إذن يعيد بنصه هذا بنية شعرية مألوفة في تراثنا الشعري البدوي. طبعا نقول هذا ونحن نفترض أن المنادى امرأة. لكن يجوز أن يكون المنادى هو الوطن، الوطن الذي يضم الأهل والأحباب.

إذا افترضنا أن المنادى هو الوطن فهل هذه الذكريات مرتبطة به، أو مرتبطة بمحبوب يضمهما وطن واحد ؟. المهم أن الشاعر/ العاشق يعيش بعيدا إما عن الأحباب (المنادى : امرأة...) وإما عن الوطن. هل هذا البعد اختياري؟

يقول الشاعر: "أمواج البعاد". إضافةُ البعد إلى الأمواج دليل على أن هذا البعد هولٌ، بحرٌ رهيب..وهذا يعني أن ثمة مكابدات.لكن الدَّوْرَ الأول من النص ينتهي بإعلان هام: إن الشاعر من خلال هذه المكابدات يَهَبُ حبه قربانا للجزائر؛ بل يبايعها بيعةً فيها قدسية؛ لأنها تحيلنا على بيعة الأنصار النبيَّ محمد صلة الله عليه وسلم.

إذن ندرك من خاتمة هذا الدَّوْر الأول أن بالأمر عشقا للوطن وللأحباب القائمين بهذا الوطن.

يبدأ الدور الثاني من هذا النص بالنداء من جديد، والمنادى دائما واحد. لكن هذا النداء سيتكرر في هذا الدور ثلاث مرات. الموضوع بعد النداء نكرة أضيفت إلى ضمير المتكلمين. فالربع المتحدث عنه ربع يجمع الشاعر بآخر أو بآخرين. هذا الربع الذي يجمع الأحبة بأرض الوطن أصبح مأوى للذئاب. إذن أصبح الربع غابة يتسكع بأرجائها الوحش. هذا الربع كان عشا، والعش مأوى يضم زوجين: الشاعرَ وحبيبته. إذن نحن أمام ذكرى حب ليس فيه هجر كما في الغزل في شعرنا القديم، وإنما تدخلت الذئاب، وأبعدت الشاعر عن أهله. هذا العش فرشه العاشقان وردا وزهورا، وملأه أحلاما. لكن الوحش حوَّل الورد أشواكا. يصرّح الشاعر إذن بأنه ما يزال على العهد وأن هناك أملا في أن يلقى الحبيب / العش / مع النصر، أي مع تحرير الجزائر.

إذن هناك علاقة تجمع مضمون العنوان ومضمون النص الشعري :

- نداء الضمير : قسيم ينقصه أقسمة ليشكل بيتا(نقص).
- نداء الضمير : مسند لكن المسند إليه محذوف (نقص).

مسند إليه لكن المسند محذوف (نقص).

- النص الشعري : الشاعر حي لكن ينقص هذه الحياة الوطن / الحبيب.

إذن تقوم بنية العنوان عروضا وتركيبا، وبنية النص على: حاضر وغائب، لكن الغائب موجود في ضمير الحاضر.

الحاضر والغائب ثنائية. عنصران لا يتصارعان وإنما يتكاملان، إنهما يشكلان الزوج. هذه الثنائية حاضرة على مستوى الإيقاع:

3- الشكل الشعري للنص :

سننظر في شكل النص وفي عروضه

أ- ما شكل هذا النص ؟

ينتمي هذا النص الشعري إلى نمط شعري معروف في تراثنا الشعري العربي مرتبط بالغناء، إنه الشعر الدَّوْري، ومن أنماط هذا الشكل الموشحات والمسمطات، لكن شكل هذا النص ليس موشحا ولا مسمطا، وإنما هو شكل يقوم على دورين غير متساويين، ويقوم كل دَوْر على مزدوجات des distiques: الدور الأول : 4 مزدوجات +1، الدور الثاني : 7 مزدوجات +1. وكل دور ينتهي بمزدوج يقوم على قافيتين ثابتتين هما: الجزائر والبشائر. وكأنهما لازمة النشيد. إذن لفظة الجزائر تستدعي لفظة البشائر، وهذا منسجم وروح عنوان النص الشعري وعنوان المجموعة الشعرية التي منها هذا النص. لننظر في ما يلي :

نداء - الضمير
أطلس - المعجزات
الجزائر - البشائر
الملموس - الخفي
الحاضر - الغائب

جاء في الدور الأول :

وتراءت لي وراء الصوت أعلام البشائر
فوهبت الحب قربانا وبايعت الجزائر

وجاء في الدور الثاني :

سوف ألقاك مع النصر وأفراح البشائر
سوف نبني عشنا في ظل تحرير الجزائر

لا تتحقق الحياة إلا بالحاضر والغائب. الجزائر باعتبارها حاضرا، والبشائر باعتبارها حلما غائبا لكنه سيتحقق لأن الغائب هو في ضمير الحاضر. ولهذا حرص الشاعر في نصوص أطلس المعجزات على ربط الكلمتين في القوافي. ولعل الظاهرة مست شعراء جيله. يقول مفدي زكرياء :

صدق الوعد فاطفَحي يابشائر
ودنا السعد فامرحي ياجزائر

ويقول صالح خباشة :

شعب يمور بالجهاد ثائر
لا بد يوما للتحرير صائر
في القدس في الجنوب في الجزائر
أعلامنا خفاقة البشائر

وظلت هذه البنية القافوية حاضرة حتى بعد استقلال الجزائر كما في قصيدته +أدعوك يا أملي؛ حيث جاء آخر النص :

للحب عدنا للمنى
عدنا لأفراح البشائر
عدنا لنرعى عشنا
في ظل حرية الجزائر

ب- العروض :

قلنا: إن عنوان هذا النص على بحر المتقارب، وقلنا: إن القارئ ينتظر أن يكون النص الشعري من البحر نفسه. لكن قراءة النص أكدت أن وزنه يختلف عن وزن العنوان، لكن بينهما علاقةً إيقاعية، فتفعيلة العنوان هي نفسها تفعيلة النص لكن أولها ينقصه سبب خفيف. إذن علاقة العنوان بالنص عروضيا هي علاقة فقد. فالفقد بنية عميقة، أفصحت عنها كل مكونات النص، لهذا جاء البيت فاقدا جزءا منه، تعبيرا عن فقد الشاعر محبوبَه : الحبيبة/ الوطن

- البيت المجزوء: قُطع شيء منه
- بيت الشاعر: قطع منه حبيبه

4- الخاتمة :

تحدثنا عن العنوان وعن النص وشكله، ولاحظنا أن هذه المكونات منسجمة في ما بينها كلها تعاني من ضياع شيء. هذا الانسجام هو ما جعل هذا النص مبينا، كما وضحنا ذلك في كتابنا وفي خاتمته التي صدرنا بها هذا المقال.

---

1 - العمدة 2/771 وما تلاها

الرافد الطبيعي في الشعر الإسلامي
محمد علي الرباوي نموذجا

ذة. أمينة المريني

في شعر الغثاء يقوم استلهام الجسد الفاني أساسا في التشكيل بل يصبح لحُمته وسَداه. ذلك أن هذا الشعر يغيب عنه الالتزام، وتصبح الميوعة رافدا من روافده، ويزداد الأمر نكرا حين ينتشر انتشارا وتستقبله بعض المنابر بالأحضان والقاعات بالتصفيق، والنقد بالإكبار بدعوى "حرية الفن" وانقطاع العلاقة بن الإبداع وبين الدين والأخلاق!

في ذاك الشعر يُتحدث عما يُسمى "شعرية الجسد" فتحتل تفاصيله وعلاقاته مساحة شاسعة، بل حاورتُ من النقاد من يُنادي بضرورة الاحتفاء بالجسد الأنثوي في تضاريس القصيدة إجلالا للمرأة، كأنما المرأة لا تأخذ حظها من التكريم إلا بالفاني والذابل والحسي!!

ولعمري تلك نظرية مادية سفلى مستوردة كما استوردت قيم مثيلاتها من الغرب.. مع أن الشعر يجب أن يخاطب في الإنسان السامي والمشرق والإيجابي، وأي إضافة يضيفها شاعر إلى الجمهور إذا حدثه عن المباذل والمتع الرخيصة والمفاتن سوى أنه يشده إلى الأسفل بدل أن يجعل من الشعر قوة جذب إلى الأعلى؟.

ولعلي أرى من العقل في هذا التقديم أن أعفي نفسي من ذكر نماذج الغثاء لأنها معلومة عند القارئ اللبيب.. أقول هذا الكلام وأنا أتصفح في تأمل بين الفينة والأخرى الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر المغربي محمد علي الرباوي لعلني أداوي نفسي برشفة من رشفات السمو والنقاء.. وأعجب بما وصل إليه الشعر الإسلامي في المغرب من جمالية فنية راقية تكذب آراء كل الذين وصموا الأدب الإسلامي عموما بالفقر...، ولن أتحدث في هذا المقام عن الظواهر الفتية بل سأشير إلى بديل من البدائل التي تطرحها القصيدة عند الرباوي في اتخاذ بعض مجالي النقاء والنور والسمو رافدا لها -الطبيعة الربانية- التي تعتبر عامل جذب في شعر الشاعر مما يجعل القلب يسيح في ملكوت الله، ها هو الشاعر يرى عظمة الخالق في جمال المخلوقات فيقول :

رأيتك لما رأيت الجبال/ تسبح في قدس وجلال/ وتسجد خاشعة للجمال/ فقلت عظيم عظيم عظيم/ رأيتك لما رأيت الهزار/ يرتل شعرا طوال النهار/ ويصمت ليلا كصمت القفار/ فقلت عظيم عظيم عظيم/(1).

والشاعر حينما يشاهد ما يشاهد يدرك ضعفه فيصحو :

رأيت محياك في ما رأيت/وأدركت ضعفي ثم سجدت/ وكنت غريرا ولكن صحوت/ فقلت عظيم عظيم عظيم(2).

وفي استعارات الشاعر من الطبيعة ما يدل على هذا الرافد الصافي، ففي قصيدة(محمد) تحضر ثنائية الليل والشمس رمزا للهدى والضلال يقول مخاطبا محمدا ﷺ : كان على شمسك أن تظهر في هذا الزمان/ لتمسح الليل الرهيب/ وتزرع النور الحبيب/ في كل فصل ومكان/(3).

والجسد -الذي يحضر في شعرية الخواء رافدا- يتلاشى عند الرباوي لأنه يمجد سماء أخرى من أجل أن يردد : أَحَدٌ.. أَحَد يقول : أحد أحد/ سأظل أرسمها على شفتي ولو أن الجسد / مصته أفواه السياط/ أحد أحد/ قل عن نشيدي ما تشاء/ فلقد جعلت سماء إيماني سماء/ غير هاتيك السماء(4).

وعناصر الطبيعة عند الرباوي تطهر كل شيء بل وتزرع في السيف الجدة يقول في نص (سيف أبي).

تركت باب البيت مفتوحا ليشرب النسيم/ ليدخل النور الطهور والهواء/ ليلمع السيف العتيق من جديد(5).

وعلى غرار النص الأول يقول الشاعر في نص (قد رأيت الإله) : في أغاني الطيور/ في عبير الزهور/في خرير المياه/قد رأيت الإله/ في زرابي الربيع/ عند فجر وديع/ قد رأيت الإله/(6).

هكذا يرى الشاعر المسلم السامي والنقيّ وليس المسف المبتذل حين يتخذ الطبيعة النيرة رافدا له وبديلا عن الروافد الحسية الممجوجة التي يُقحمها بعض الشعراء لاستدرار تصفيقات الجمهور إن كان لشعر الغثاء من جمهور!! ولعل ما حققه د. الرباوي من إنجازات جمالية في شعره جعله في مقدمة الشعراء المغاربة المؤسسين للشعرية العربية الاسلامية بامتياز، بل شاعرا كونيا مما يدل على أن الشعرية لا تتحقق بالرخيص والمسف.. لأن الشاعر يشعر بمسؤوليته الحضارية نحو الأجيال وبقيمة الكلمة في البناء يقول الشاعر في قصيدة (غناء صحراوي بين الوجهين) وكلامي من أعماق القلب/كالماء العذب/يتفجر يجري ليصلي/ في الحقل المصبوغ بألوان الجذب/.

وإذا كان بعض النقد القديم قد أشار إلى أن الشعر يلين في الخير ويقوى في الشر، فإنه قد آن الأوان ليكشف المخلصون من النقاد عن مظاهر القوة في الشعر الإسلامي لتنفيذ خطل الرأي السابق من خلال دراسة تجارب شعرية لها قيمتها كتجربة الرباوي والامراني والمرحوم محمد بن عمارة وآيت ورهام... الشيء الذي سيؤكد أن بريق الجسد ولحظاته المحمومة على أَسرَّة بعض القصائد والتي تؤجج التصفيق "الشللي"(7) والتندر المستفيض في المقاهي لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال عنصرا من عناصر القوة في أي شعر ولدى أي شاعر إنسان متوازن يشعر بمسؤوليته الجسيمة نحو الكلمة التي تبني المجتمع الإنساني.

1- قصيدة وقفة في رحاب مقدمة الأعمال الكاملة ص 268 ـ 269.
2- الأعمال.. ص 269.
3- الأعمال ص 137.
4- الأعمال الكاملة ص 98.
5- الأعمال الكاملة ص 75.
6- الأعمال الكاملة ص .27
7- نسبة إلى "الشلة".

لنا عودة إلى القصة القرآنية

دة. سعاد الناصر

1- القصة القرآنية تربية وجمال:

تعد القصة في القرآن الكريم وجها من وجوه الإعجاز الذي لا ينتهي في هذا الكتاب الرباني العظيم، وكلما تأملنا القصة القرآنية تبين لنا عدم محدودية دلالاتها ومكنوناتها وجمالياتها، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها تجاه الإنسانية جمعاء، باعتبارها نصا توجيهيا يؤثر في النفس الإنسانية، بسبب ما يتضمنه من متعة السرد وجمال الإيقاع وعمق المعاني مما تميل إليه النفس وتألفه، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف،111)، وما كانت عبرة لأولي الألباب إلا لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق. فهي من أروع الوسائل التي تسعف على منح الإنسان قدرات لتجديد المفاهيم وتصحيحها ، وشحن النفس بطاقات تدفع عنها الضعف والغثائية والانحراف، وتلج بها حركات التدافع والتداول والارتقاء. لذا نجدها مهمة في تربية الطفل، تشكل وجدانه وعقله ولغته ومخيلته، وتساعد في نموها نموا سليما، ونجدها من المكونات الأساسية لثقافة الشباب، تحصن نفوسهم من رياح الاستلاب والتغريب والتهميش، وتدفعهم للتأمل والتدبر، وتنمي فيهم القيم الأخلاقية والجمالية وتجددها، وهي المربية للشعوب الساعية نحو التغيير والنهوض والجمال.

2- واقعية القصة القرآنية:

ونظرا لأهمية القصة في حياة الإنسان فقد وظفها القرآن الكريم في عرض مختلف المواقف والأحداث عرضا جماليا، وإن كان هذا العرض يخضع لمكون الانتقاء خدمة للأغراض الدينية. **فالقصة في القرآن الكريم إحدى أهم وسائل التبليغ القرآنية المتعددة في الشكل، والمتحدة في الهدف، تنقل إلى الإنسان تجارب إنسانية مختلفة ومتعددة، وقعت في أزمنة وأمكنة معينة، لكن طريقة تقديمها وأسلوب عرضها المعجز في القرآن الكريم، يجعلها تناسب في حاضر المتلقي وعقله ووجدانه، كي ياخذ منها العبرة، ويعيد بها تجديد واقعه، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف:111).** لذلك استعمل القرآن كلمة "قص" بمعنى التبليغ للوحي فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾(الأنعام: 130). كما جعل من أهداف القصص التفكر وتثبيت القلب والفؤاد يقول تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف: 176). ويقول أيضا: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود: 120).

وقد اشتمل القرآن على عدد من قصص الأنبياء والرسل وعلى قصص غيرهم من الناس الأتقياء والأخيار والأشرار والكفار، رجالا ونساء، وعرض أحداثا وأنباء ومواقف وقعت فعلا في الحياة، بصدق ودقة ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾(الإسراء: 105)، وأنطق شخصيات إنسانية وأخرى من عوالم مختلفة بلسان حالهم ومقالهم، دون أن يَدْخلها وَهْمٌ أو خيال، وأمدها بعناصر تتجلى فيها مظاهر التدبير الإلهي والتسيير الرباني التي تقوم شاهدة على واقعية القصة المعروضة ومصداقية عرضها، كما نجد مثلا في قصة يوسف، فواقعية القصة وطريقة عرضها ومصداقيته، تسندها بعض العناصر التي تؤكد ذلك، كعنصر المفاجأة في حدث استباق يوسف وامرأة العزيز إلى الباب، لما فوجئت المرأة بالعزيز أمام الباب. فهذا العنصر بالإضافة إلى أنه زاد من إثارة المتلقي وتوتر الأحداث اللاحقة، جلى واقعية الحدث المسير باللطف الإلهي. وهو عنصر لم يخرج عن المألوف في تسلسل الحدث وتطوره، فمفاجأة العزيز لامرأته وليوسف يبدو واقعيا نظرا لتواجدهما في بيته من جهة، ومن جهة أخرى فهو عامل حاسم على نجاة يوسف من الموقف. وكعنصر التوبة في لحظات الكشف عن الحقيقة، وإعلانها على الملأ، بصدق يوسف وعفته، وتوبة امرأة العزيز، وغير ذلك من العناصر الجمالية والإنسانية، التي تهدف، فيما تهدف إليه، إلى الكشف عن المنهج القويم للحياة الإنسانية الذي به يقع تغيير الأفراد والمجتمعات نحو الأحسن والأفضل.

3- دراسة القصة القرآنية وتدبر دلالاتها المعنوية والجمالية:

وقد اهتم عدد من الدارسين والباحثين بالقصة القرآنية، بشكل قد يوهم البعض بتضخم الحديث حولها، ويشكك في احتمال تقديم الجديد فيها، لكن تدبر القرآن الكريم دعوة مفتوحة أبد الدهر، وأي محاولة خالصة لله عز وجل يتدبر فيها الباحث القرآن الكريم تكون مأجورة بإذن الله، ولا تخلو من شرف خدمته. وهذه المشروعية ترفع الحرج في تناول القصة القرآنية، لأنها تكون محاولة لتوعية ذات الباحث وذات الأمة، بالثبات على الإيمان والاستزادة منه، وتمكين ما تتضمنه من فوائد وعبر في النفس، لتتقوى عزيمة المؤمن وتتجدد مع ما تثيره القصة القرآنية من حيوية تدفعه إلى نشدان التقوى والصلاح في كل أموره وعلاقاته وسلوكياته. كما تكون أداة لتوجيه حركية القارئ نحو التفاعل مع ما أتى به القرآن الكريم من خيرية ووسطية وتجديد وتدافع، والاهتمام بكل مظاهر التناسق والجمال الداعية إلى الإثارة، وتحريك منبهات النفس، وإثبات فاعلية بعض الشخصيات، وعدم ركونها نحو الجمود والتهميش، لأخذ العظة منها من أجل النهوض والتغيير.

والتنبيه لطبيعة السرد القرآني في تناول القصة وتداخل موضوعاتها، وتوحدها وتقديم شخصياتها، وتصوير جوانب من مواقفها، وتناغم كل ذلك مع عمق معانيها وثراء دلالاتها في السياق الواردة فيه، يجعل المتلقي يستفيد من قيمها الجمالية والإنسانية في تصحيح ذائقته الجمالية، واستثمارها في تجديد رؤاه وأساليبه، سواء في الحياة أو في الكتابة.

الأدب الإسلامي بين التأصيل والتأسيس

أنموذج الفن الروائي منهاجا ورصيدا

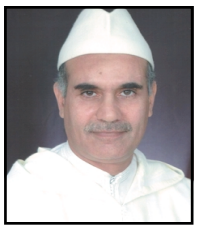

ذ. سعيد ساجد الكرواني

إن ما ينبغي أن تعتمده الرواية الإسلامية من أبعاد فنية وجمالية وموضوعية لا يجدر إلا أن تمتاح من عدة مناهج تصب في المنهج الشمولي الذي سأحاول تبيين معالمه من وجهة نظري المتواضعة.

ويتعلق الأمر بمناهج ثلاثة وهي:

- رؤيا العالم لـ "لوسيان غولدمان" بالنظر إلى إغراء العنوان وإيهامه، فضلا عن تقاطعه مع غيره من الرؤى.

- والبنيوية عموما على اعتبار قضية إرداف الخاص و العام في الصعيد ذاته(1).

- الإيماء إلى المنهج الجنسي الذي عمت به البلوى، مما لا ينبغي أن يعني أبدا أن كل ما تعم البلوى به قد يُقبل؛ فهو مرفوض بطريقة صارمة في المنهج الإسلامي.

ولم أقتصر على تلك المناهج إلا لأنها كافية في نظري لبسط المراد بالنظر إلى العموم والخصوص الكائن بينهما بله التشابك بين رؤاها.

لأقبل -جزءا أو كلا- ما حقه القبول، وأرفض ما حقه الرفض حسب ما نتصور أنه المنهاج الإسلامي في الفن والأدب.

أما عن "غولدمان" فـ«سيقال: إن الأمر يتعلق بفكر لا إنجازي، لكن أي فكر لا يبدو كذلك يظل فكرا إلى آخر المطاف دون أن يصبح أيديولوجية؟

إن سوسيولوجية الأدب عند "غولدمان" ليست وصفا فحسب أو نقلا لألفاظ واضحة أو رمزية ضمن خطاب آخر، خطاب تجريدي، ولكنها البحث الصعب الذي يرمي إلى مواجهة ذلك التباين المتباعد دوما عن تجديد يصاغ وراء الأفكار المعبر عنها قصد إثبات هويته»(2).

حتى إذا حصل الاتفاق في الوضوح والرمزية بين المنهج الإسلامي ورؤية العالم في هذا الصدد، فإن الاختلاف حول المذهبية الماركسية يعد ضربة لازم.

بمعنى أنه إذا كان هناك التقاء بين هذه الرؤية والنظرة الشاملة إلى الله جل جلاله، والحياة، والأحياء في تصور الأدب الإسلامي ذي المنهج الشمولي، فإن الاختلاف وجب حقا على مستوى العقيدة أو المذهبية إذا جاز أن نستعيض بها عما يسمونه اصطلاحا بالأيديولوجية. ذلك بأن الماركسية غير الإسلام، ويختلفان اختلافات جوهرية معلومة أبرزها النظرة المادية الصرف إلى الأشياء؛ وإلا فإن الإسلام يشمل المادة والروح معا.

على حين لا حرج علينا أن نقبل الوضوح باعتباره عاملا مشتركا بين المنهجين، بل قد يعد من الناحية الموضوعية روحا لمعطيات الفن الإسلامي عموما بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(3)؛ مما لا يعني أن الرمز الشفاف المستسلم للقارئ بله الناقد بمفاتيح مضيئة سياقا وسباقا مما يدعو إليه الأدب الإسلامي المعاصر.

وأما عن البنيوية وما بعدها والقصور البادي فضلا عن عدم البراءة الشكلية، فإن ذلك كله يدعو إلى التثبت قبل الإفادة من هذه المناهج على وجه العموم، إلا ما استيقنا أنه لا يخالف ما ندعو إليه في الشكل والمضمون، أو الفن والموضوع.

ثم ألا يجدر بنا أن نستنبت المناهج في أرضنا ؟ لماذا -إذاً- الجري وراء الآخرين حتى فيما لفظوه، واكتشفوا غيره كمثل ما بعد البنيوية، مع العلم أن "ما بعد" هذه عندهم تفيد نسخ ما قبلها، على حين يصر بعض ذوينا على اجترار قديمهم رغم أنف الحداثة التي إليها يدْعون.

ومع ذلك لا بد أن نقر أن للاستنبات والاستنباط أصحابه من أهل الذكر، لأن المجال فتح - وينبغي أن يبقى مفتوحا قابلا للاجتهاد المحفوف بالخطأ والصواب

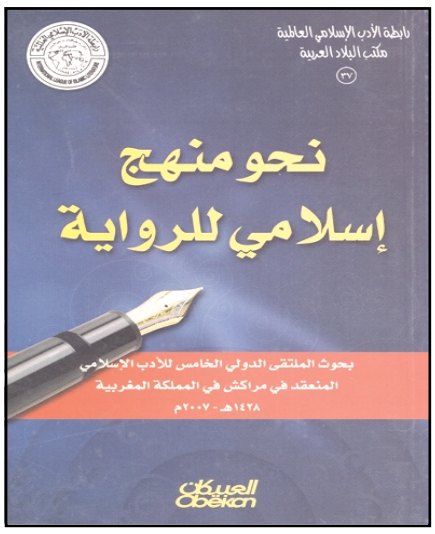

- لمن يحسن ولمن لا يحسن، حتى إن بعض الإخوة كتب كتابا أراد أن ينتصر فيه لنظرية النظم معتمدا إياها في النقد الأدبي، وكان موفقا في الجانب النظري، إلا أنه مع الأسف أخفق إخفاقا ذريعا في مستوى التطبيق حيث طفق في دراسة النصوص بطريقة مسمارية - سمّها إن شئت - أو هيروغليفية معمورة بالدوائر والمستطيلات والبيانات وما إليها مما يفقد التواصل ويغيب النظرية المدعاة(4).

هذا بعض ما عنّ في هذه السانحة عن التأصيل ذي العلاقة بدراسة المناهج جميعا ونخلها حتى يتسنى الرفض أو القبول. وقد اكتفينا بالإشارة السريعة إلى العنوانات الثلاثة من بنيوية، وبنيوية تكوينية، ومنهج جنسي لدِلالتها على غيرها.

أما القصد من التأسيس كما هو معلوم عند أهل هذه الصناعة فإنه ليس كصنوه التأصيل، ذلك بأن التأصيل هو البحث عن القواعد مجتمعة أو متفرقة لإسناد أحد الموضوعات ذات الأهمية، في حين نجد أن التأسيس يحاول إعادة إنتاج المعرفة قصد إضافة معينة أو تجميعا لشتات مجموع من المفردات المتفرقة بطريقة مبدعة لإعادة تركيب المعنى الجديد المراد.

بناء على هذا فإن التأصيل يقتضي منا أن نبين عوار المناهج التفكيكية جميعا إذا ما طبقت في المجال الأدبي والفني، فكيف إذا استثمرت في محاولة إيجاد الاختلاف في القرآن الكريم وعلومه ؟

ومن أعجب ما قرأت في هذا الصدد حوارا لأركون وأدونيس في مجلته مواقف حيث اتفقا على أن النص الثاني - بزعمهما - يشوش على النص الأول - كأن لهما غيرة على القرآن الكريم - ولكن حقيقة الأمر تفصح عنها سفسطتهما المسماة بالعلمية والموضوعية، حيث طفق أحدهما يكيل المدح للآخر، وتعجبا كيف اتفق كل على حدته على هذا الأساس من موقعه أو معركته كما يحبان أن يدّعيا.

اتفقت كلمتهما على أن قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(5)، كما في النص الأول، حتى إذا قال النص الثاني: "إن من البيان لسحرا" (6)، إذاً فالقرآن - بوساطة العلاقة المتعدية- سحر، وها نحن أولاء ندعو بدعوى الجاهلية الأولى من أن القرآن سحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك كما يخرصون.

والملحوظ أنهما يقصدان المعنى الحقيقي لا المعنى المجازي الذي يشير إليه الحديث الشريف، هذه واحدة.

أما الثانية فإننا نقول لهم: حين تريدون إزاحة النص الثاني ليبرز التناقض على أشده في النص الأول، وتذهب أسباب النزول وما إلى ذلك من علوم آلية مساعدة، فإنكم تفعلون دون حياء. وحين تريدون أن تعتسفوا على النص القرآني تستخدمون ما تدعون إلى عدم الاتكاء عليه. أحلال عليكم؟ و لكن هيهات هيهات!

وإلا فمن من العلماء والأدباء والمهتمين.. من يصدق خرافة قتل الكاتب بما توحي به من أبعاد ذات خطر كبير على رؤية الفن الإسلامي عموما؟

كما كثر اللغط وتعددت المناهج التي لا تستحق مجرد الحديث عنها لولا الضرورة الملحة في كشف فساد بضاعة القوم ومن تبعهم.

فهناك منهج يدعى المنهج الجنسي / Erotique، واسمه دال عليه، وقد تم اعتماده في الشعر فضلا عن الرواية، ونحن لا نستحيي في نبذ مثل هذه الإبداعات الزائفة المزيفة التي تحب أن تشيع الفاحشة في الناس(7).

وإن كنت أقارع أصحاب هذه الدعايات، فإني أعجب لمن اتبعهم ظنا منه أنه يناصر الإبداع.

فقد سبق أن كتبت شيئا عن نجيب الكيلاني- رحمه الله تعالى - فأبنت عن بعض الصور الخادشة للحياء حيث صورها بقلمه الجميل، إلى الحد الذي يدغدغ شعورك، فانبرى لي أحد الإخوة الذي أصر ألا يكتب عني شيئا بعد إلحاح إلا مدافعا عن الصور الغريبة التي لا تليق بالأدب الإسلامي.

هنالك ظهر لي أن أسر إليه ومن معه أن الفيصل هو عدم قدرة تصوير بعض

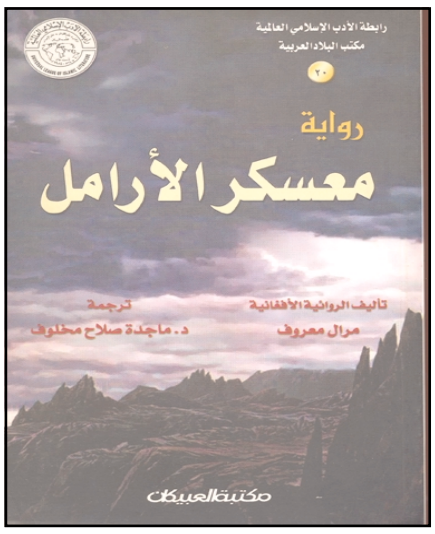

الروايات سينمائيا، وإلا فإن الدعوة إلى الأدب الإسلامي ستكون لاغية.

وبالصدد ذاته أحب أن أقول: على الأدباء أن يولوا وجوههم شطر السينما والمسرح ناقلين فنون وموضوعات الروايات والقصص، كما يطالبون المسؤولين بربط التعليم بالشغل.

ثم إني سائل هذا الأخ ومن معه: هل بالإمكان قبول نقل رواية فيها لقطات جنسية خادشة للحياء؟ وهل يسوغ للممثلين أن يقوموا بما يقوم به غيرهم خاصة إذا كانوا ملتزمين، هذا بغض النظر عن الخلاف الحقيقي حول اللباس الشرعي وظهور المرأة على خشبة المسرح أو السينما سيان؟ وإن كنا نرى بأن مسرح الحياة الكبير لا ينبغي أن يختلف عن الخشبة أو السينما إيمانا والتزاما واحتسابا، فالحلال مسوغ فيها جميعا، والحرام حرام فيها جميعا.

وعودا على بدء؛ إن المنهج الشامل والمتكامل يقتضي منا جملة من الأعمال في النظر والتطبيق حتى يتأصل على أساس متين، وذلك بعد تركيم العديد من الروايات ذوات القيمة الفنية العليا في الأشكال والمضامين من حيث وجب على الكتبة في هذا المجال أن يستفيدوا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن طرائق الروائيين الغربيين خاصة في الجوانب الشكلية البريئة التي تنتصر للفضيلة وتخاصم الرذيلة والإباحية.

وعلى الناقد البصير الذي لا يجامل ولا يحابي أن يبين داخل دائرة الأدب الإسلامي نفسها كيف أنه من العار أن نتحدث عن الكيلاني-رحمه الله تعال- بما هو فارس الرواية والقصة حقا، مثله في ذلك كمثل نجيب محفوظ -رحمه الله تعالى- في الرواية العربية بما حققاه من ركام مكنهما من المكانة التي يستحقانها عن جدارة وتحقيق؛ مما لا يمنع أن أعمالهما في حاجة إلى المزيد من النقد والتمحيص.

على حين لم يكتب عماد الدين خليل إلا رواية تاريخية واحدة لا يمكن معها أن تدخله في عداد الروائيين بما أنه أدلى دلوه في كثير من التخصصات أحسن في جلها. الشيء نفسه فيما يتعلق بفريد الأنصاري رحمة الله تعالى عليه حيث كتب كتابة صوفية لا ترقى إلى مستوى الرواية المنشودة، حيث اشتبهت كتابته الصوفية شعرا ونثرا ورواية لا تكاد تميز بينها الذائقة الأدبية النقدية.

في الختام أحب أن أهمس في أذن المهتمين بأن قصة يوسف عليه السلام والقَصص القرآني جملة، ومحطات من السنة والسيرة، وبعض من روايات الغرب تحت مظلة الإسلام الظليلة القائلة بالكلمة الحكيمة، وكيف أنها ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها وأحق بها قمينة برفد التصور الشامل المتكامل الذي نصبو إليه في تأسيس وتأصيل الرواية الأدبية الإسلامية إبداعا ونقدا وتنظيرا؛ وإلا فلا شمولية أو تكامل، ومن ثم فلا إبداع!

1- إشارة إلى البنيوية والبنيوية التكوينية.

2- دراسات في النقد الحديث، إعداد و ترجمة د.حسن المنيعي، مطبعة سندي، مكناس، المغرب، ط 1، 1995 م، بتصرف.

3- سورة إبراهيم، الآية 4.

4- للعلامة عبد الله الطيب رحمه الله تعالى رأي مخالف للشيخ عبد القاهر الجرجاني حول نظرية النظم، و كيف بنيت على النحو والتركيب، حيث يدعو الطيب رحمه الله تعالى إلى الجانب الروحي والرباني في مسألة الإعجاز.

5- سورة الرحمن، 4-1.

6- رواه أبو داود وغيره، وجاء أيضا بلفظ آخر: "بعض البيان سحر".

7- الشيء نفسه يتعلق بالعنف، والانتصار له خاصة في الشاشة الأمريكية.

المنهج الإسلامي في النقد ومسألة التأسيس عند الدكتور علي الغزيوي رحمه الله

قراءة في كتاب(1)

إعداد : د. عبد العزيز الخطيب

رحل عنا الأستاذ الكبير الدكتور علي الغزيوي أستاذ الأدب والنقد الأندلسي، وخلف وراءه تراثا علميا زاخرا أغنى المكتبة العربية الإسلامية، ومن جملة الأمور التي اهتم بها أستاذنا الكبير - تغمده الله عز وجل برحمته- التأسيس للمنهج الإسلامي في النقد الأدبي، وقد صدر له في هذا السياق كتاب: "**مدخل إلى المنهج الإسلامي في النقد الأدبي ومسألة التأسيس**"، وفي ما يلي قراءة في مضامين هذا الكتاب وقضاياه:

■ أولا : لماذا الحاجة للمنهج؟

لكي يجيب عن هذا الاشكال انطلق الدكتور علي لغزيوي رحمه الله بالوصف السريع للمراحل التي أوصلت المثقفين والطلاب اليوم إلى استعارة المناهج الغربية واعتماد تطبيقها على أدبنا قديمه وحديثه، بل أحيانا محاكمته استنادا إلى تلك المناهج الدخيلة، وأن تراث الأمة الإسلامية خالٍ من شيء يسمى منهجا أو مناهج، واستهلاكنا الطويل الأمد للمناهج الغربية الغريبة، التي رسختها أجيال تلقت العلم في ديار الغرب ورسّختها بدورها في من يتولون اليوم مزاولة التدريس والتثقيف.

وانطلاقا من إحساس الكاتب بهذا الإبعاد المتعمّد رأى أن يسهم في التأصيل لمنهج بديل يعكس شخصية المسلم؛ هو المنهج الإسلامي في النقد الأدبي الذي تطلبته دواع منها:

- ضرورة التمييز بين الإسلامي والدخيل في مختلف مجالات الحياة.
- الوعي بعدم ملاءمة كثير من المناهج الغربية في التعامل مع التجربة الإسلامية المعاصرة في الإبداع الأدبي.

وينبّه إلى أن الجهود الواعية والمنظمة لكل من سيد قطب، ونجيب كيلاني، وعمادالدين خليل ومن سار على نهجهم رائدة في مجال الأدب الإسلامي؛ تنظيرا وتطبيقا، بهدف رسم مواصفات المنهج الإسلامي في النقد الأدبي.

ومن هنا تكتسب هذه المقدمات عند المؤلف شرعيتها في الدعوة الملحة إلى تبني منهج إسلامي للنقد الأدبي، ومحاولة رصد خيوطه في النظر إلى الفنون والآداب.

ورغم صعوبة تحقيق ذلك لبعد مناهجنا الدراسية عن إدراج نماذج من الأدب الإسلامي الدسمة في الفن والأخلاق والتشريع ضمن مقرراتها، ولتغلغل المناهج الأجنبية في أذهان الكاتبين، وتكريس الإعلام الأجنبي ذلك التغلغل وإبراز جاذبيته، فإن الكاتب يؤمن بالتحدي، فيرى كما رأى سيد قطب قبله ضرورة الإقلاع عن النظر «إلى أنفسنا وإلى سوانا بعدسة صَنَعتها أيد أجنبية عنا، أجنبية عن عقيدتنا وتاريخنا، أجنبية عن مشاعرنا وإدراكنا، أجنبية عن فهمنا للأمور وإحساسنا بالحياة وتقديرنا للأشياء»، وأن نثق بما يقدمه الإسلام من رؤية جديدة للحياة تستثمر في مجالات الآدب والفن والنقد وغيرها.

■ ثانيا : المنهج الاسلامي في النقد أية منطلقات وأية أسس؟

ينطلق الدكتور رحمه الله في بيان معالم هذا الإشكال من خلال إظهار موقف الاسلام من الأدب عموما ومن الشعر خصوصا ثم إظهار موقف الصحابة والخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء.

● ففيما يخص النقطة الأولى ينطلق من قناعته بأن المنهج الإسلامي في النقد الأدبي ليس منقطع الجذور، بل إن فكرته نبتت بِذْرتها مع إشراقة نور الإسلام، ومن ثمّ فإن استخلاص مقومات هذا المنهج تكتسي أهمية خاصة؛ لأنها تهدف إلى تصحيح أو تعديل كثير من الأحكام التي تصدر من مواقف جاهزة أو تعتمد الإسقاط والتقليد.

فالمنهج الإسلامي في النقد قد ظهرت معالمه الأولى في صدر الإسلام بما عُرف بموقف الإسلام من الشعر، من خلال المبادئ النقدية ذات القيمة التوجيهية التي ظهرت مع هذا الموقف، وهي مرحلة التأسيس لما سيأتي.

والبحث في موقف الإسلام من الشعر ينطلق عند الكاتب من ثلاثة محاور تتميز بتكاملها، وبوحدة المنبع والهدف في الوقت نفسه، وهي:

- موقف الإسلام من الشعر كما حدده القرآن الكريم: والحديث عن هذا الموقف من زوايا متعددة، في مقدمتها: ما فهمه بعض العرب حينذاك من نفور الإسلام من الشعر. ما يتصل بما سمي بنظرية ضعف الشعر في صدر الإسلام. وما يتصل بموقف الإسلام من الشعر والشعراء باعتباره موقفا نقديا يتضمن توجيهات وأحكاما واضحة، ترتكز على معايير ومقاييس نابعة من روح القرآن وتعاليمه.
- موقف النبي ﷺ من الشعر والشعراء: وهو نابع من روح القرآن الكريم فقد أُثرت عنه أقوال وأحكام كثيرة تتعلق بالشعر والشعراء، وهي ثلاثة أصناف:
- ما يتعلق بتشجيعه للشعراء المسلمين في سبيل الدفاع عن العقيدة. وما يتعلق بموقفه من الشعر عموما، ويظهر في موقفين مختلفين: موقف الرفض والنفور، وموقف الرضى والاستحسان، وقد أُثرت عنه أقوال تجمع بين النفور والاستحسان.
- ما يتعلق بموقفين مختلفين من شعر الجاهليين، موقف الاستحسان من الشعر المتفق مع الخط الإسلامي، وموقف النفور من الشعر المختلف عن ذلك الخط.

وما خلص إليه الكاتب هنا هو اتفاق مواقف النبي ﷺ مع موقف القرآن، وأنهما يرسمان نهجا إسلاميا للشعر نظما ورواية.

● أما النقطة الثانية في التأصيل فتتعلق بموقف الصحابة والخلفاء الراشدين من الشعر والشعراء: ومواقف هؤلاء - وهم جهابذة الفصاحة والبلاغة - تعتبر امتدادا للمواقف السابقة، وقد حاول الكاتب من خلالها إبراز معالم المنهج الإسلامي في النقد الأدبي، انطلاقا مما أُثر عن عمر بن الخطاب خاصة، وهو أعلم الناس بالشعر كما وُصف، ومن خلال ما أصدره من أحكام تخصّ الشكل والمضمون معا، مكّنت الكاتب من تلخيص ممارسته النقدية في أمرين متكاملين: مواقفه من الشعر والشعراء، وأحكامه وآراؤه في الشعر.

وبهذا -وبغيره- يكون الكاتب قد عرض أهم المعطيات الكبرى للنظرية النقدية الإسلامية في مرحلة صدر الإسلام، فماذا عن طبيعة المنهج والنظرية والمعيار عنده؟

■ ثالثا : ما علاقة المنهج بالنظرية؟

وقد حدّد الكاتب طوابع الممارسة النقدية في صدر الإسلام وتجلت عنده في: الدعوة الواعية إلى الالتزام بمفهومه الإسلامي الصحيح، وضوح المعيارين: الخلقي والفني، وعدم اقتصار الممارسة النقدية على شعر صَدْر الإسلام، وعدم الفصل بين الشعر وغيره من المجالات الأخرى، ولا يخشى في طبيعة المعيار الديني على التضييق على المبدعين بإلزامهم بموضوعات بعينها؛ لأن العبرة هنا بالمضمون لا بالموضوع، والفرق جوهري بينهما كما تبيّن عند الكاتب.

ومن النماذج التطبيقية التي قدمها للكشف عن العلاقة بين النظرية والتطبيق، أو لنقل بين الموقف الإسلامي النقدي كما تحدد سابقا وبين حركة الإبداع الشعري في صدر الإسلام بردةُ كعب، باعتبار أنّ هذا الأخير إلى جانب حسان ولبيد وابن رواحة... قد استطاعوا أن يُصْدِروا عن روح القرآن ولغته، وإن لم يكن بدرجة العمق الذي يحدث هزة قوية في التجربة الإبداعية.

قصيدة البردة تمثل قسمين كبيرين: غزل ثم اعتذار ومدح للنبي، وقد أعجب بها ﷺ، وخلع على صاحبها بردته فعفا عنه، وشأن الغزل ووصف الخمرة فيها - مهما تشعبت دواعيه في مقام يجمع الخوف والأمل- يجسد -حسب الكاتب- الطبيعة المرنة للمنهج الإسلامي في النقد الأدبي.

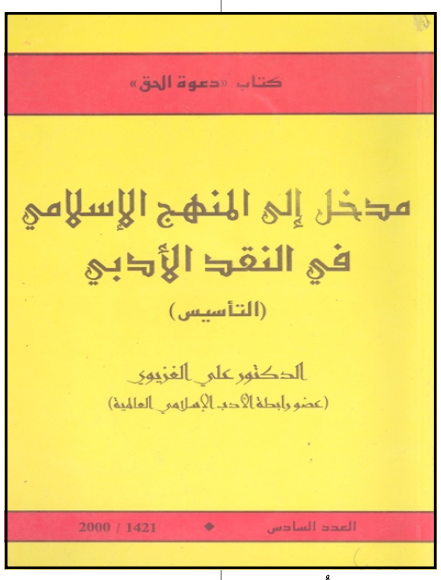

وقد كانت التعليلات متعددة لوجود الغرض الأساس إلى جانب الغزل ووصف الخمرة وغيرها مما نهى عنه الإسلام في قصيدة شعراء الإسلام كما هو حال قصيدة كعب، وقد بسط المؤلف أهمها؛ فمن شاكٍّ في تلك الأجزاء الواصفة صراحة للخمرة، ومن مميِّز بين التقليد الفني والسلوك الخلقي العملي لدى الشاعر، ومن معلِّل تعليلا فنيا خالصا انطلاقا من مفهوم «المعادل الموضوعي»، ومن ذاهبٍ إلى قصر فترة صدر الإسلام وعدم تغلغل المفاهيم الإسلامية في النفوس.

ليخلص إلى أن الذي يقصده هو أن العملية النقدية القديمة لم تكن بأكثر من استجابة وجدانية تتخللها ومضات فكرية تضبط الحكم بمعايير الإسلام الجديدة، ومع ذلك تعتبر جزءا أساسيا من الوعي النقدي، وحجَرَ الأساس في هذا المنهج.

■ رابعا : الأدب الإسلامي ونقده: أي مصطلح وأي مفهوم؟

كان الخلط الحاصل في المفاهيم لدى بعض مَن ينتمون اليوم إلى هذا الأدب، داعيا وموجبا كافيا دفع الدكتور علي لغزيوي لرفع الالتباس عمّن يقول: ليس هناك أدب إسلامي وآخر غير إسلامي بل إن الأدب العربي إسلامي بالضرورة، وكل ما يكتبه الأديب المسلم من أدب هو أدب إسلامي، داعيا إلى ضرورة توضيح المفاهيم؛ بأن وَجْه اللَّبس يتجلى في إطلاق صفة إسلامي على الأدب العربي إطلاقا عاما لا يراعي خصائصه ومقوماته، بل فقط لأنه ينتمي إلى بيئة إسلامية، وكُتب بلغة عربية، أو كتبه أديب مسلم بلغة أخرى، وبناء على هذا الإطلاق فإن الكاتب يمثل بالأخطل النصراني، وبأبي نواس الماجن... وهم عاشوا في بيئة إسلامية، لكن موضوعاتهم خارجة في غالبها عن النهج الإسلامي.

والوجه الثاني الملتبس هو ما يتعلق بحقيقة الأدب الإسلامي ومفهومه، وهنا يضع الكاتب سؤالا مركزيا هو: ما العناصر الإسلامية وكيف تتحقق في النص فيوصف بالإسلامي، وتغيب عنه فلا يوصف بذلك؟ ليبدأ في الإجابة بتوضيح "إسلامية الأدب"، فيقرر أن لفظة "إسلامية" تفيد النسبة إلى الإسلام، والغرض هو تحديد مذهب في البحث والنظر يعتمد الرؤية الإسلامية النابعة من القرآن والسنة.

غير أن النظرة الإسلامية ترفض مبدأ الفن للفن، كما تستبعد الوعظ والإرشاد والمباشرة السطحية، بل تعتد بصياغة المبدع للمضمون صياغة فنية وفق الشروط الفنية المتعارف عليها، وهنا يسارع ليوضح أن الموضوع الإسلامي وحده لا يكفي لصنع أدب إسلامي؛ لأن الذي يعتد به هو المضمون، والحرية في الأدب في التصور الإسلامي حرية مسؤولة واعية؛ تميز بين الطيب والخبيث...

وعلى ضوء التفريق السابق يفرق أيضا بين أدب يصدر عن مسلم يؤمن بالإسلام رسالة وسلوكا وتطبيقا في مختلف المجالات، وبين أدب يصدر عمن يفصل الدين عن شؤون الحياة وسلوك الناس، ليقف النقد الإسلامي متميزا في نظرته إلى الإبداع الأدبي بسعيه إلى افتراض التلازم الوطيد بين النظرية الخلقية والنظرية الشكلية.

■ خامسا : أية مقومات وأهداف للمنهج الإسلامي في النقد؟

وقد حددها المؤلف في ثلاثة هي : أولا ارتباط المنهج بالعقيدة والتزامه بها، والثاني التوازن بين المضمون والشكل، والثالث التكامل بين الذاتي والموضوعي.

وقد مضى يفسّر كلَّ مُقوّم على حدة، مبينا مفهوم الرؤية الإسلامية للالتزام في النقد الأدبي المرتبطة بالعقيدة، والتي من شأنها تحقيق أهداف، مثل تصحيح العلاقة بين الأدب وهذه العقيدة، والانسجام بين عقيدة الأديب المسلم وحسه الأدبي، وإنصاف العقيدة الإسلامية وإبراز موقفها الصحيح من الأدب والفن، وحماية القيم الفنية في الأدب.

وبعد توكيده على ضرورة ارتباط المنهج الإسلامي في النقد الأدبي بالعقيدة في سموها وعمقها، وحاجته إلى المصطلح المناسب المنسجم، أخذ في بيان التوازن في الاعتداد بالمضمون وجماليات الشكل، وأنّ هذا التوازن يمثل واحدا من أبرز مقومات المنهج الإسلامي.

■ خاتمة :

وأما خاتمة الكتاب ففيها اعتراف من الكاتب بأن الجوابات التي قدمها على الأسئلة التي شغلته، وهي: هل يمكن قيام منهج إسلامي في النقد الأدبي؟ وما هي خصائصه؟ وما مقوماته وأهدافه؟ كانت غير شافية، لكنها معالم في الطريق تهدي السبيل إلى إغناء التجربة وإرساء القواعد، ككل بدايات مؤصِّلة لأيِّ علم. كما يرى أنه من المفيد تسجيل أبرز المبادئ التي تسعى رابطة الأدب الإسلامي العالمية إلى تحقيقها في مجال الأدب والنقد، وهي أن الأدب الإسلامي تعبير فني هادف عن الحياة والكون والإنسان وفق الكتاب والسنة. وحقيقة واقعة

تتمة : ص 15

قواعد في منهج القصة القصيرة الإسلامية(1)

د. محمد إقبال عروي(*)

قد لايكون الأمر مبالغا فيه إذا تم الالتفات إلى أن صيرورة التفكير الإسلامي تؤكد أن المسلم يتمتع بعقلين : عقل شرعي، وعقل أدبي، وليس في ذلك أي عيب، لكن الإشكال هو حين يسعى بعض المنظرين والباحثين إلى محاولة إخراج العلاقة بين العقلين من دائرة العلاقات التعاضدية والتآزرية والتكاملية والتفاعلية المبنية على روح الاستقلال والتمايز والهدائية إلى دائرة العلاقات التضمنية والإلحاقية أو الإضعافية والتهميشية، وقد يصل الأمر إلى علاقة قائمة على الإقصائية بمسوغات تتلبس لبوسا شرعية.

وما شهدته حركة التنظير للفنون الإسلامية والأدب الإسلامي والعمارة الإسلامية يؤكد كيف أن الرغبة في تنميط تلك الفنون وفق رؤية إسلامية واضحة المعالم، محددة الصفات والمعايير إنما هو جهد من يريد أن يحكم العقل الشرعي في العقل الأدبي، ويجعل الثاني تبعا للأول ونسخة له، بينما الأصل أن يكون العقل الأدبي مهتديا بالعقل الشرعي لا مستنسخا له.

في ظل هذه الملاحظة المربكة، في تقدير صاحب المداخلة، فإن الورقة تقدم رصدا لمجموعة من القواعد التي يراها الباحث كفيلة بتحقيق نظر موضوعي في قضية منهج القصة القصيرة الإسلامية.

وتتمثل تلك القواعد في:

1- القاعدة الأولى: لا قاعدة لمنهج القصة الإسلامية تمثلا وإبداعا :

فالحديث عن القواعد هو حديث عن المعايير والمبادئ والأحكام، ومن ثم، فإن ذكر لفظ "القواعد" من شأنه أن يوهم بأن هناك طريقا مرسوما سلفا بين يدي القاص، وعليه، إذا أراد أن يبدع نصا يستحق أن يوصف بأنه قصة قصيرة إسلامية، أن يلتزم بتلك القواعد، وإلا حكم على نصه بالخروج، قليلا أو كثيرا، عن منهج القصة الإسلامية بحسب مقدار التزامه بتلك القواعد. وهذا الأمر غير وارد، ولذلك، أقترح أن تكون أولى قواعد منهج القصة القصيرة الإسلامية أن لا قاعدة لها، درءا للالتباس، ومنحا الحرية الأدبية للقاص، فله وحده الكلمة الأولى في اختيار صياغة أنماط القصة الإسلامية وأشكالها وجمالياتها.

2- القاعدة الثانية: استصحاب الأصل الإباحي في الشكل الفني لمنهج القصة الإسلامية:

صراع مرير ونقاش طويل يروج في ساحة الأدب الإسلامي حول رتبة الأشكال الفنية في سلمية الجواز والإباحة والحرمة، وغلب على رواده، استجابة لثقافة سد الذرائع والأخذ بالأحوط، توهما لأمن أدبي في سياق تتفاعل فيه الثقافات والقيم والتجارب، سلوكُ الإنكار على من أخذ بالأشكال الحديثة أو ابتكر أساليب لم ينزل التراث بها من سلطان.

وتحرير القول في هذه الإشكالية يقتضي التذكير بالآتي:

● الشكل الفني التقليدي للقصة كان هو الإمكانية الوحيدة المتاحة في العصر الإسلامي الأول، كما أن هناك شكلا ثانيا، مثل إمكانية ثانية، هو الذي انتهى إلى الأمة في العصر الحديث.

● يقدم الخطاب القرآني أنماطا عديدة للقصة، يمكن تلخيصها في الأنماط الثلاثة الآتية:

أ- البناء الكامل: وهو بناء القصة بناء تاما من بدايتها إلى خاتمتها، مثل قصة يوسف عليه السلام التي قصت بدءا من طفولته إلى أن صار وزيرا عند عزيز مصر ولقائه بأبيه وإخوته.

ب- البناء الالتفاتي: ولتحديد دلالة البناء الالتفاتي، لابأس من التذكير بمفهوم الالتفات في الدراسات البلاغية، فهو يعني الانتقال من وضع زمني إلى آخر، مثل "انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، أو الانصراف عن المخاطبة إلى الإخبار"(2).

وبتأمل قصص القرآن، يلاحظ أن بعضها قص بطريقة اعتمدت الالتفات والانتقال من الحاضر إلى الماضي، بشكل يخالف طبيعة الزمن الرياضي، ومن هنا يمكن أن نعرف البناء الالتفاتي في بعض قصص القرآن بأنه بناء يتقاطع فيه الحاضر مع الماضي، إذ يلتفت السرد إلى لحظات وأحداث ماضية خارج سيرورة الزمن الأول.

وقصة موسى في سورة طه نموذج لهذا البناء الالتفاتي، فقد ابتدأ الحديث عن موسى عليه السلام في الآية التاسعة، إذ أشار القرآن إلى رؤية موسى للنار، ثم تلقيه الوحي بجانب الوادي المقدس، وكلام الله له إلى حدود الآية السادسة والثلاثين، ثم يعود السرد، فجأة، إلى لحظة موغلة في ماضي شخصية موسى، وهي لحظة ولادته ووضع أمه له في التابوت مخافة أن يقتله أعوان فرعون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى، أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾(ط : 27- 29). ثم يستأنف السرد لمخاطبة موسى وهارون من أجل دعوة فرعون إلى الإيمان، انطلاقا من الآية الواحدة والأربعين.

ج- البناء الحلقي: وهو راجع إلى مفهوم التصور التناسبي للقصص القرآني القائم على أساس أن السورة لا تستدعي من القصة إلا حلقة معينة تناسب السياق الحاف بها سابقا أو لاحقا، وهذا البناء الحلقي موجود في الكثير من القصص مثل قصة موسى وإبراهيم وصالح، ذلك أن القرآن يركز في كل سياق على جانب معين من جوانب القصة المسرودة، أو على حلقة مخصوصة من حلقاتها، استجابة لمتطلبات السياق الواردة فيه، وخدمة للجو العام الذي يمثل طابع السورة، واتساقا مع ما يناسب موضوع السورة ومحورها وأهدافها (3).

ومن عجب أن القدماء تنبهوا إلى هذا الجانب من قصص القرآن، ووصفوه بـ"اختلاف الصور والقوالب". يقول ابن أبي الإصبع: "فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لا تكاد تشتبه في موضعين منه، ولابد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرا"(4).

والجدير بالذكر أن هذه الأنماط السردية والقوالب الفنية تدعو إلى البحث في أشكالها وأنواعها وجمالياتها، وتشجع على الغوص في دقائق أمورها بغية الوقوف على بعض الأسرار المعنوية والفنية الكامنة خلف بناءاتها المتعددة، إضافة إلى البحث في استنباطات فنية ومنهجية تفيد في التنظير للقصة القصيرة الإسلامية المعاصرة.

والذي يهمنا، في هذا السياق التوصيفي لأنماط الصياغة القصصية في الخطاب القرآني، التدليل على أن القرآن، الخطاب الداعي إلى الالتزام بقيم وسلوكات وضوابط وقواعد، هو نفسه يقدم انفتاحية ملحوظة في التعامل مع الأشكال الفنية القصصية، مما يعتبر دليلا "شرعيا" على أن الأصل في الأشكال الفنية القصصية هو الإباحة.

● الأشكال تتطور بتطور الثقافات والأذواق الأدبية والاتجاهات النقدية، ومن ثم، فمن المباح للأديب أن يختار الشكل الذي يراه ملائما لأن يصب فيه تجاربه الإبداعية، ولم يكن الإسلام ليقف في وجه اجتهاد بشري ما في حقل هو، أصلا، من إنتاج بشر "يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق"، فقضية الاجتهاد مرتبطة، دينيا وأصوليا، بقضايا تشريعية، ومن تم، كان في العملية الاجتهادية جائز وغير جائز، أما في الحقل الأدبي فالمجال مجال تجارب إنسانية يجوز فيها استئناف التجديد والتطوير كما جاز فيها، ابتداء، الإبداع والتأصيل.

وأظن أن هذه القاعدة لم تأخذ بعد حيزها المناسب في طرائق التفكير الإسلامي، وما زلنا نلحظ تحرجا في التعامل معها في القضايا التشريعية العامة في المأكل والملبس والتجارة والمعاملات والعلاقات الدولية، ومن ثم، فلا ينتظر أن تتغير الأحوال الفكرية في ساحة التنظير الأدبي بالسهولة المتصورة، إن الأفكار تشاد على ثوابت، وإذا كانت الثوابت يتوهم فيها القوة والثبات والأصالة، فليس من السهل أن تنتقد الأفكار المبنية عليها والمؤسسة على وزانها إلا من خلال جهاد فكري متواصل.

3- القاعدة الثالثة: مرجوحية الاحتكام إلى" ثوابت فنية" في سياق تشكل القصة الإسلامية:

لا ينكر متتبع لحركية القصة القصيرة الإسلامية أنها في طريق التشكل والامتداد، وهذا يعني أنها تناضل لتكتسب ملامح لها في ساحة الإبداع الأدبي.

لكن بعض رواد الأدب الإسلامي ميالون إلى الشروع في التأصيل لخصائص القصة الإسلامية، ومنهم من عمل، وتحت تأثير منطق قياسي مخالف لجوهر العلة، باعتبارها من الشروط العلمية والمنهجية اللازمة للقيام بالقياس، على إسقاط خصائص التصور الإسلامي على خصائص القصة الإسلامية.

ومعلوم أن عملية استخلاص الخصائص محتاجة إلى عمل استقرائي كبير، مهما كان حجمه فلن يكون إلا استقراء ناقصا، إذ الاستقراء الكامل مستحيل بين يدي ظاهرة أدبية تتخلق حينا بعد حين، وتتشكل عقدا بعد آخر، مما يحتم تأجيل أي اعتقاد بأن خصائص القصة الإسلامية قد كملت، دلاليا وفنيا، وعلى الأجيال الجديدة أن تبدع على وزان ما حققه جيل الرواد.

إن هذا الإجراء يعد قتلا لنمو القصة الإسلامية، فمعلوم أن ظاهرة القصة الإسلامية الحديثة مازالت فتية في الزمان والمكان، ومهما اعتبرنا بداياتها الأولى، فلن تتجاوز ستين سنة، ومن تم، فالأرجح أن يتم تأجيل "تقنين" خصائص أدبية ودلالية وفنية لظاهرة هي ماتزال في طور النمو والتشكل.

ومما يزيد الوضع تأزما، أن بعض الرواد من أهل النقد في ساحة الأدب الإسلامي، حين يستخلصون خصيصة ما، فإنهم يردون، بموجبها، خصائص أخرى قد تبدو لهم مخالفة لما استخلصوه من خصائص، فيقع إشكال لا مخرج ولا ملجأ منه إلا إلى التخلق بأخلاق الرصد المتأني، وتأجيل عمليات التقعيد والتوصيف الجازم، والصبر على الظاهرة الأدبية الإسلامية، في امتدادها الدلالي والفني والجغرافي، فعسى أن يكشف المستقبل عن أبعاد فنية أغنى وأعمق وأقدر على أن تدخل القصة الإسلامية ساحة الريادة العربية والعالمية المنتجة.

4- القاعدة الرابعة: القيم الفنية والدلالية في القصة الإسلامية متنوعة ومتعددة كتنوع المذاهب الفقهية وتعددها...

5- القاعدة الخامسة: خطأ الاجتهاد الفني مقبول، وهو أهون من خطأ التقليد والمحاكاة لأنماط فنية معينة...

6- القاعدة السادسة: العبرة بعموم المبدأ القائم على التنوع والاختلاف، لابخصوص إخفاق التجارب الفردية...

7- القاعدة السابعة: حاكمية تغير أشكال الخطاب الأدبي بتغير أحوال المتلقين...

8- القاعدة الثامنة: تقوية بناء الأدب الإسلامي يستدعي التمثل لا التقليد...

9- القاعدة التاسعة: درء سلبيات الوصاية على الأدباء، باعتباره موقفا سلبيا قائما على توهم الخوف على مصير الأدب الإسلامي، مقدم على جلب مصلحة صفاء الأدب الإسلامي...

10- القاعدة العاشرة: الثابت بالواقعية الحياتية كالثابت بالمثالية الإسلامية...

11- القاعدة الحادية عشرة: الأصل في الإبداع القصصي الإباحة الموضوعاتية...

هذه بعض القواعد التي نراها قادرة على فتح حوار جدي ومتواصل حول منهج القصة القصيرة الإسلامية، مع التأكيد أن الحركية الإبداعية القصصية الإسلامية التي تزداد نموا في السنوات الأخيرة، كما ونوعا، تمثل ميدانا خصبا للاستقراء والوقوف على ما تتميز به تلك القصة من ملامح وخصائص وقواعد.

والله الموفق للفلاح، ومنه النجاة مما يفوه به اللسان أو يخطه البنان.

(*) مستشار بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

1 – نشير إلى أننا في الجريدة اكتفينا في القواعد من 4 إلى 11 بإيراد عناوينها لضيق المساحة، مع أن الدكتور محمد إقبال عروي بسط الحديث في كل قاعدة من القواعد المسطرة، مع اعتذارنا للقارئ، وشكرنا لتفهُّم أخينا الكاتب.

2 – ابن المعتز: البديع، ص: 116.

3 – د. أحمد أبو زيد:" التناسب البياني في القرآن "، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط:1، 1992، ص: 67.

4 –ابن أبي الإصبع:" بديع القرآن"،تحقيق د. حفني محمد شرف،نهضة مصر،ط:1،ص: 290.

قراءة في كتاب (تتمة)

منذ انبلج فجر الإسلام، يستمد عطاءه من مشكاة الوحي وهدي النبوة. وهو ريادة للأمة، ومسؤولية أمام الله تعالى. وهو أدب يتحقق تكامله بتآزر المضمون مع الشكل. وهو كما يرفض الانحراف ينفتح بالمقابل للفنون الأدبية الحديثة، ويقدمها للمجتمع وقد برئت مما يخالف دين الله تعالى.

كما أن الأدباء الإسلاميين متقيدون بالإسلام وقيمه، وملتزمون في أدبهم بمبادئه ومثله، مؤتمنون على فكر الأمة ومشاعرها، يستطيعون النهوض بهذه الأمانة من تصورهم الصحيح ومعارفهم الدينية الكافية.

---

(1)- الكتاب المقصود بالقراءة هو "مدخل إلى المنهج الإسلامي في النقد الأدبي-التأسيس"، للدكتور علي لغزيوي رحمه الله، منشور ضمن سلسلة كتاب (دعوة الحق)، العدد السادس، مطبعة فضالة، المحمدية – المغرب (1421هـ – 2000م) من الحجم الصغير عدد صفحاته ثلاث وأربعون ومائة صفحة.

مختارات من مكتبة الأدب الإسلامي المعاصر

هذه قائمة مختارة من مكتبة الأدب الإسلامي العالمية، جلها من روائع الأدب الإسلامي التي حق لأدبائه أن يفاخروا به الأمم، ويكاد الاستثناء يكون مرتبطا ببعض المجالات التي ما زال أدبنا الإسلامي فيها ضعيفا كقسم المكتبات والمعاجم، وقد حرصنا على أن نقدم أربعة عناوين في كل فرع من فروع القسم، وخالفنا ذلك عند التعذر لأسباب ذاتية تارة وموضوعية أخرى.

وسيلاحظ القارئ أننا حرصنا على أن نورد أكبر قدر من أعلام رجال الأدب الإسلامي، جاعلين كتبهم المذكورة عنوانا على غيرها مما لم نذكره لهم.

وهناك مسألة أخرى لابد من الإشارة إليها هي أن هذه القائمة اختيار خاضع لذوق في القراءة والمتابعة، ومشروط بظروف وسياقات، وذكر كل الأسماء التي نعرفها متعذر ومخالف للقصد من هذه القائمة المختارة، وحسبنا أننا أوردنا في هذه القائمة قسما خاصا بمكتبة الأدب الإسلامي لمن أراد الوقوف على أكبر قدر ممكن من المؤلفات والأسماء التي تنتمي إلى هذا الأدب. فلعل في هذا بعض عذر لنا، والله من وراء القصد.

القسم الأول: المكتبة المغربية:

● **أولا: في الدراسة الأدبية والنقدية:**

– **سيمياء الأدب الإسلامي المصطلح والدلالة:** د.حسن الأمراني. مؤسسة الندوي، كتاب المشكاة، وجدة.

– **مدخل إلى المنهج الإسلامي في النقد الأدبي(التأسيس):** د. علي لغزيوي. منشورات مجلة دعوة الحق بالرباط.

– **مقالات في الأدب الإسلامي:** د.عبد الرحيم الرحموني، مطبعة أنفو برينت، فاس

– **جمالية الأدب الإسلامي:** د.محمد إقبال عروي. الكتبة السلفية، الدار البيضاء.

● **ثانيا: في الشعر:**

– **الأعمال الشعرية:** محمد علي الرباوي، منشورات وزارة الثقافة بالمغرب.

– **ديوان الإشارات:** فريد الأنصاري. منشورات الدفاع الثقافي، تازة.

– **ساتيك فردا:** أمينة المريني. منشورات حلقة الفكر المغربي، فاس.

– **نخلة المحبوب:** حسن الأمراني، مطبعة أميمة، فاس.

● **ثالثا: في القصة:**

– **الريح والجذوة:** حسن الوراكلي، منشورات المشكاة، وجدة.

– **ظلال وارفة:** سعاد الناصر. سلسلة روافد، الكويت.

– **الكلمات:** أحمد زيادي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

– **لا تئدني مرتين:** نبيلة عزوزي، منشورات المشكاة، وجدة.

● **رابعا: في الرواية:**

– **بحثا عن ظل:** أحمد رزيق. دار قرطبة، الدار البيضاء.

– **جنة الطوارق:** إدريس اليزمي، مطبعة فضالة، المحمدية.

– **العائدة:** سلام أحمد إدريسو. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **عودة الفرسان،** فريد الأنصاري. دار النيل، إسطنبول.

القسم الثاني: المكتبة المشرقية:

● **أولا: في الدراسة الأدبية والنقدية:**

– **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي:** د.عماد الدين خليل. مؤسسة الرسالة. بيروت.

– **منهج الفن الإسلامي:** ذ.محمد قطب. دار الشروق، القاهرة.

– **نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده:** د.مصطفى عليان، دار البشير، الأردن.

– **الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني** للدكتور حلمي محمد القاعود. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

● **ثانيا: في الشعر:**

– **أذان القرآن:** عمر بهاء الدين الأميري، مؤسسة الشرق، الأردن.

– **إلى حواء:** عبدالرحمن صالح العشماوي، مكتبة الأديب، الرياض.

– **ديوان الأرض المباركة:** عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي، القاهرة.

– **فضاء الكلمات:** محمود مفلح، دار الأمان، الرباط.

● **ثالثا: في القصة:**

– **الحلبة والمرآة:** محمد الحسناوي، دار الوفاء بالمنصرزة، مصر.

– **دموع الأمير:** نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– **الصرخة:** وليد قصاب، دار الفكر، بيروت.

– **هناك طريقة أخرى:** حيدر قفة، المكتب الإسلامي، بيروت.

● **رابعا: في الرواية:**

– **ثورة النساء:** عبدالودود يوسف، دار السلام، القاهرة.

– **القابضون على الجمر:** محمد أنور رياض، المختار الإسلامي، القاهرة.

– **ليالي تركستان:** نجيب الكيلاني. كتاب المختار، القاهرة.

– **وإسلاماه:** علي أحمد باكثير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

● **خامسا: في المسرح:**

– **البعد الخامس:** أحمد رائف. دار الفكر، بيروت.

– **خمس مسرحيات إسلامية ذات فصل واحد:** عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– **عالم وطاغية:** يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

– **ملحمة عمر:** علي أحمد باكثير. دار البيان، الكويت.

القسم الثالث: المكتبة المترجمة:

– **الآمال صارت آلاما:** نور الله كنج. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.(رواية تركية)

– **معسكر الأرامل،** مرال معروف. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.(رواية أفغانية)

– **نحو كوكب الحرية:** محمود حكيمي. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.(رواية فارسية)

القسم الرابع: أعمال الندوات:

– **رسالة الأدب والشهود الحضاري:** أعمال الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي بوجدة.

– **النقد الأدبي بين التاصيل والتجريب:** أعمال الملتقى الدولي الثاني للأدب الإسلامي بالدار البيضاء.

– **النقد التطبيقي بين النص والمنهج:** أعمال الملتقى الدولي الثالث للأدب الإسلامي بأكادير.

– **أدب الحركات الإصلاحية: مفاهيم قضايا نماذج:** أعمال الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي بفاس.

– **نحو منهج إسلامي للرواية،** أعمال الملتقى الدولي الخامس للأدب الإسلامي بمراكش.

القسم الخامس: المعاجم

– **معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين:** أحمد الجدع، دار الضياء، الأردن.

– **معجم مصطلحات الأدب الإسلامي:** محمد بنعزوز، دار النحوي، الرياض.

القسم السادس: المكتبات:

– **دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث:** د.عبدالباسط بدر. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **مكتبة الأدب الإسلامي المغربي:** الحسين زروق، مطبعة آنفو- برانت، فاس.

القسم السابع: أدب الأطفال

● **أولا: في الشعر:**

– **أناشيد طموح:** جلول دكداك، مطبعة آنفوبرانت، فاس.

– **رياحين الجنة:** عمر بهاء الدين الأميري. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **غرد يا شبل الإسلام:** محود مفلح. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **نوارس الربيع:** سعيد ساجد الكرواني، الأحمدية، الدار البيضاء.

● **ثانيا: في القصة:**

– **قصص من التاريخ الإسلامي:** أبو الحسن علي الحسني الندوي. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **مغامرات عصفور:** عبدالجواد محمد الحمزاوي. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **سلسلة حكايات جدتي:** أحمد زيادي، منشورات سوماكرام، الدار البيضاء.

القسم الثامن: مختارات أدبية

– **من الشعر الإسلامي الحديث:** مختارات من شعراء الرابطة. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– قصص من الأدب الإسلامي. منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

– **مساحات الضوء (مجموعة قصصية مشتركة** بين عدد من كتاب القصة بالمغرب). طوب برس، الرباط.

– **مسرحيات إسلامية قصيرة.** منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، مكتبة العبيكان بالرياض.

القسم التاسع: مجلات الأدب الإسلامي

–**مجلة الأدب الإسلامي،** الرياض. (صدر منها 73 عددا).

– **مجلة المشكاة،** وجدة. (صدر منها 52 عددا).

الإسلام في العالم

د. أبو اليسر رشيد كهوس

دخل الملايين من الأوروبيين والأمريكان في دين الإسلام أفواجا، وما زال عشرات الألوف يدخلون في دين الله يوميًا بعد اقتناع ودراسة متأنية...

ولهذا اعترف الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" بأن الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا الآن في الولايات المتحدة الأمريكية "أقوى دولة في العالم".

ويبلغ عدد المسلمين في أوروبا أكثر من خمسين مليونًا، من بينهم أعداد كبيرة من العرب والمسلمين المهاجرين من بلدانهم لأسباب اقتصادية غالبًا -بحثًا عن لقمة العيش- ولأسباب سياسية أحيانًا، فضلاً عن ملايين من الأوروبين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع.. وهناك توقعات بأن ترتفع أعداد المسلمين في أوروبا، وتتناقص أعداد غير المسلمين -بسبب قلة عدد المواليد هناك عن عدد المتوفين سنويًا- إلى أن يصبح المسلمون هم أغلب سكان أوروبا خلال أقل من عشرين عامًا ولهذا يمكن فهم أحد أهم أسباب الحملة المسعورة الآن على الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربي، بل إن "صمويل هنتنجتون" نفسه يتوقع أن يبلغ المسلمون أكثر من 30٪ من سكان العالم قبل حلول عام 2025م.

ويبلغ عدد مسلمي أمريكا الشمالية أكثر من عشرة ملايين نسمة طبقًا للتقديرات شبه الرسمية، لكن العدد الحقيقي أكبر من ذلك، لأنه لا توجد جهة رسمية تسجل أعداد من يعتنقون الإسلام وهم بالآلاف يوميًا، كما أنه لا تسجل الديانة في وثائق تحديد الهوية، وبالتالي لا يمكن تحديد أعداد أتباع كل ملة بدقة.

أما الأقلية الإسلامية في الهند فهي أكبر عددًا من معظم الدول الإسلامية -كل على حدة- إذ يبلغ تعداد مسلمي الهند أكثر من 200 مليون نسمة، ويؤكد كثير من المسلمين الهنود أن عددهم الحقيقي أكبر من ذلك، وأن السلطات الهندوسية هي التي تتعمد تقليل العدد المعلن لأسباب سياسية؛ منها النزاع الطائفي بين الهندوس والمسلمين من جهة، والنزاع بين الهند وباكستان من جهة أخرى.

ويتراوح عدد مسلمي الصين بين 20 و30 مليون (بين 1,5٪ و2٪ من إجمالي عدد السكان)، إلا أن البيانات التي قدمها مركز الإحصاء السكاني التابع لجامعة ولاية سان "ديي و" إلى مجلة "الأخبار الأمريكية والتقارير العالمية" (بالإنجليزية: S.U News & World Report)، تفيد أن عدد المسلمين في الصين يصل إلى 65,3 ملايين مسلم. ويقترب عدد المسلمين الروس من 25 مليون نسمة.

وتعتبر إندونيسيا أكبر البلاد المسلمة حاليًا، ويقطنها حوالي 13٪ من مسلمي العالم، أما الباقون فيتوزعون على الشكل الآتي: 25٪ في آسيا الجنوبية، و20٪ في المشرق المسلم، و2٪ في آسيا الوسطى، و4٪ في باقي بلدان آسيا الجنوبية، و 15٪ في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

ويصل عدد المسلمين اليوم إلى حوالي 1,57 مليار نسمة، وبهذا فإنهم يشكلون قرابة 23٪ من سكان العالم.

يعيش أغلب المسلمين في قارتيّ أفريقيا وآسيا، وحوالي 62٪ منهم يسكن القارة الأخيرة، حيث تأوي إندونيسيا وباكستان والهند وبنغلاديش ما يزيد عن 683 مليون مسلم. وفي المشرق الإسلامي، تُعتبر تركيا وإيران أكبر دولتين غير عربيتين يُشكل المسلمون أغلب سكانها؛ أما في أفريقيا فإن مصر ونيجيريا هي أكبر البلدان المسلمة.

أما الجاليات المسلمة فإن عددا كبيرا من المسلمين ينتشرون في الدول الصناعية وبالخصوص في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أوروبا الغربية بفعل الهجرة بحثًا عن مورد رزق، وقد أدى ازدياد عدد المسلمين في تلك الدول أن يقوم بعض أبنائها بالتعرّف على هذا الدين والتقرب منه ومن ثم الدخول فيه، مما يجعل عددًا من الخبراء يزعم أن الإسلام هو أسرع الديانات انتشارًا في العالم حاليًا.

ويُعتبر الإسلام ثاني أكثر الديانات انتشارًا بعد النصرانية في معظم الدول الأوروبية، وهو في طريقه ليحتل ذات المركز في الأمريكيتين، حيث يتراوح عدد المسلمين في الولايات المتحدة فقط، وفق بعض المصادر، بين 2,454,000 و 7 ملايين نسمة.

وهكذا نرى بوضوح أن كل دول العالم غير الإسلامي تحتضن جاليات إسلامية كبيرة وذات حضور واضح هناك لا يمكن تجاهله أو تهميشه مهما اشتدت محاولات الاحتواء أو الإضعاف أو القمع أحيانًا. ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(الصف : 8- 9).

تفكيك "الدولة الوطنية": وقائع مكشوفة.. لا مؤامرة خفية

ذ. زين العابدين الركابي

منذ أكثر من ستين عاما، أي عام 1949 - بالتحديد - صدرت رواية سياسية اجتماعية للكاتب المبدع جورج أورول. وكان عنوان الرواية نفسه عجيبا ومثيرا، إذ كان العنوان تصويرا صريحا لاستطلاع أورول لمصير الاتحاد السوفياتي. وما هو أعجب من ذلك كله: أن توقعات أورول قد صحت (!!!).. ليس من حيث مضمونها فحسب، بل من حيث توقيتها كذلك، ففي ذات التاريخ الذي جعله أورول عنوانا لروايته وهو "1984" بدأ الاتحاد السوفياتي يتفكك، وهي بداية أخذت تتسارع حتى بوغت الناس بانهيار ذلك الكيان الضخم.

ومد البصر إلى المستقبل ينبغي أن يكون أحد تجليات الكاتب الذي يعنى بمثل هذه الشؤون.

ونحن نحاول أن نمد البصر إلى الأمام لئلا تغرق الأمة في تفاصيل الحاضر ولججه غرقا يلهيها عن رؤية مصائر بائسة يتوجب عليها أن تدفعها بوعي ومسؤولية، أو على الأقل تقلل من آثارها إلى أدنى حد مستطاع، أي إلى الحد الذي تستطيع أن تحيا به.

إننا لا نملك خيال أورول، ولعل ما بين أيدينا من قرائن ووقائع يعوضنا أو يغنينا عن خيال أورول. ونحن نجتهد في رؤية مصائر الأمة من خلال الأحداث الراهنة.

من المخططات التي يراد تطبيقها على هذه الأمة: مخطط تقسيمها وتمزيقها، ليس على المستوى "القومي" فقط.. ففي حقيقة الأمر، فإن الأمة قد قسمت على المستوى القومي منذ زمن بعيد.

إن موضوعنا المحدد المضبوط هو: أن الوطن العربي يتعرض للتفكيك والتفتيت.. ولسنا نقصد بذلك أن العرب "موحدون" اليوم، فجاء المخطط ليفتت وحدتهم القائمة، فواقع الحال يقول: إن العرب اليوم ينطبق عليهم وصف القرآن لليهود وهم في حالة تمزق: "تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى".. ومن هنا فإن المحور الذي يتركز عليه الكلام هو "تفتيت الدولة الوطنية" ذاتها.

وهذه هي منظومة الوقائع والمخططات التي تصلح برهانا على وجود مخطط التقسيم، وبرهانا - كذلك - على "تطبيقات" مراحل أو أجزاء من هذا المخطط.

1- واقع تقسيم السودان إلى دولتين: إحداهما في الشمال، والأخرى في الجنوب. وهناك اتجاهات ترمي إلى تفتيت الدولة الشمالية نفسها إلى دويلات، وكأنهم يستعملون مع الأوطان الطريقة البيولوجية في تشقق الخلايا 32-16-8-4-2-1.. إلخ!

2- في مصر "البلد الموحد من ألوف السنين"، وفي أثناء التحقيق القضائي في ما عرف بقضية "التمويل الأجنبي غير المشروع لعدد من منظمات المجتمع المدني".. في أثناء هذا التحقيق، ضبطت خرائط تقضي بتقسيم مصر إلى أربع دويلات. وهذا هو نص ما ورد في قرار الاتهام في هذه القضية - في ما يتعلق بمخطط التقسيم: "الخرائط المضبوطة بمعرفة النيابة العامة في أثناء تفتيش مقر هذه المنظمات بناء على أمر قاضي التحقيق. هذه الخرائط تتضمن تقسيم حدود مصر وإخراج حلايب وشلاتين وتعديل خط العرض المتعارف عليه دوليا. أما التدخل اليدوي فقسم مصر إلى أربع دويلات هي: أ ñ القنال ب- صعيد مصر ج- القاهرة الكبرى د- الدلتا، دون أي ذكر لمنطقة النوبة".

3- في مؤتمر علني في بنغازي بليبيا أعلن زعماء قبائل وسياسيون وعسكريون عن أن إقليم "برقة" هو إقليم مستقل أو منفصل. ولئن غطي هذا الانفصال بكلمات الحكم الذاتي أو الفيدرالية، فإن هذا الغطاء راعى الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في ليبيا اليوم، بيد أنه غطاء أوهى من أن يخفي حقيقة الانفصال، بدليل أن قادة ليبيا الوحدويين أدانوا هذه الخطوة وعدوها بداية تقسيم ليبيا. وهذا صحيح.. فبـ"العدوى" أو بردود الفعل الموازية ستطالب أقاليم أخرى بذات الحقوق والميزات (!!!).. ويستبعد أن تكون هذه الخطوة الغبية أو المجنونة غير ذات صلة بجهات أجنبية، وهو سيناريو لمح إليه بعض قادة ليبيا.

4- في الصومال المنسي أو مكسور الجناح: تقدم الولايات المتحدة مساعدات إنمائية لإقليمين صوماليين انفصاليين هما: أرض الصومال.. وبونتلاند. ولقد سارعت إسرائيل إلى الاعتراف بهذين الإقليمين الانفصاليين!

5- وفي اليمن تتعاظم اتجاهات في "الحراك الجنوبي"، وهي اتجاهات ترمي إلى انفصال الجنوب عن الشمال، أو إلى تصحيح الوضع الشاذ حسب تعبير بعضهم، والوضع الشاذ في نظرهم هو وحدة الشمال والجنوب في دولة واحدة.. وفي هذا السياق يطمح الحوثيون في شمال اليمن إلى أن يكون لهم كيان مستقل.

6- وفي العراق، ومنذ أيام قلائل قال نائب الأمين العام للاتحاد الوطني الكردستاني (حزب الرئيس العراقي جلال طالباني)، قال: "أرى أن الظروف المحلية والعراقية والدولية مهيأة لإقامة دولة كردية مستقلة، فنحن قاتلنا وناضلنا لسنوات طويلة من أجل تقرير المصير، وليس من المعقول ألا تكون للأكراد دولتهم". وقال أيضا: "إن العراق سيتجزأ إلى أقاليم شيعية وسنية وكردية".. وبمناسبة عبارة "تقرير المصير" التي وردت في كلامه، ينبغي أن يعلم أن هذه العبارة ذاتها كانت "الذريعة" القانونية والاستراتيجية والسياسية لانفصال جنوب السودان عن شماله.

بعد ذلك بقليل صرح زعيم الحزب الكردي الآخر الكبير مسعود بارزاني، صرح فقال: "إن الدولة الكردية المستقلة آتية لا محالة".

في ضوء هذه الوقائع والقرائن المبرهنة على مخطط التمزيق والتقسيم نسأل: ماذا بقي؟!.. ومن بقي؟!

إن المخاطر دقت باب البيت الخاص نفسه، ونعني بهذا التعبير "الجيوسياسي": أن المخاطر انتقلت من التقسيم والتفتيت على المستوى القومي العام إلى التفتيت على مستوى "الدولة الوطنية" ذاتها.

وهذه مخاطر تستوجب إعادة التفكير والنظر - بعمق - في ترتيب الأولويات بذكاء وواقعية.

ومن أسبقيات ترتيب الأولويات:

أن يكون "الأمن الوطني" - بمعناه العلمي الشامل - هو مقياس الحركة الوطنية، والأداء الوطني لكل دولة.. ومن صور هذا الأمن:

أولها "التوافق الفكري الضروري" داخل كل مجتمع تضمه الدولة الوطنية. فالتفتيت قد يكون فكريا، بل لا بد أن يكون فكريا بادئ بدء. فهذا التفتيت الفكري يمهد للتشظي الاجتماعي المفضي إلى التمزق السياسي..

والصورة الثانية من الأمن الوطني هي: النضال اللاهب المستمر من أجل الاستقرار..

والصورة الثالثة هي: الاندفاع بأقصى درجات الطاقة من أجل التنمية المتصاعدة في كل مجال..

والصورة الرابعة: المحافظة الصلبة على الوحدة الوطنية..

ومن هذه الصور: أن تنساب كل هذه المضامين في أداء الدولة: تعليمها وإعلامها وثقافتها واستخباراتها ودبلوماسيتها وعلاقاتها الإقليمية والدولية.

وحين نقول إنه يتوجب أن تكون هذه الأولوية مقدمة - في النظر والتطبيق - على أي أولوية أخرى، فإننا نعني - بالضبط - أنه لا يجوز أن تتقدم عليها أي أولوية قومية مهما كان شأنها، إذ ما جدوى الاهتمام بالشأن القومي العام، إذا كان الشأن الوطني الخاص معرضا لمهالك شتى منها مهلكة التقسيم: اليوم، أو غدا، أو بعد غد؟!

إن مثل من يفعل ذلك كمثل من يركز جهوده على خدمة حيه أو حارته، على حين يهمل أسرته الخاصة: أبويه وزوجه وأولاده.. وهذا - بلا ريب - تنكيس لمنهج سلم الأولويات.

وقد يقال: إن هناك ترابطا بين الأمن الوطني والأمن القومي. ونقول: هذا صحيح، بل نضيف: أن المتغيرات العالمية الجديدة أنشأت روابط بين الأمن الوطني والأمن الدولي أو العالمي.

لا خلاف في ذلك.. وإنما النقطة المركزية التي نكثف الحديث عنها هي: أن يكون الأمن الوطني الخاص هو المقياس المعتمد لكل حركة وأداء تجاه الأمن القومي، والأمن الدولي.. وهذا امتحان دقيق للرؤية السياسية، والقرار الاستراتيجي، فالسياسة الناجحة هي حسابات صحيحة ودقيقة قبل أي شيء آخر.

معالم من منهج السلف في تعليم القرآن الكريم

د.أحمد شكري(*)

اقتدى علماؤنا السابقون من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان رضوان الله عليهم بمنهج نبينا الكريم ﷺ في الترغيب والتحبيب بتعلم القرآن الكريم، واتبعوا في ذلك وسائل عديدة، رغبت في هذا المقال في عرض بعضها رجاء الانتفاع بها والسير على طريقهم في الخير والإبداع.

- التيسير على المتعلمين وتشويقهم وجذبهم بالهدايا والجوائز وإطلاق الألقاب الحسنة عليهم :

فمن التيسير على الطلبة ما ورد عن نافع أنه كان يسهّل القرآن لمن قرأ عليه إلا أن يُسأل(1) أي أن يقول له الطالب: أريد قراءتك.

ومن التشويق أن ابن مسعود كان يمر على طلابه، وحين يعلم أحدهم الآية يقول له: تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض(2).

ومن التشويق بالهدايا حديث عمرو بن سلمة -السابق ذكره- وفيه أنه بعد أن أمّ أصحابه وتقلصت عنه بردته قال: فاشتروا لي قميصا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص، وإن لم يكن هذا القميص -في الظاهر- هدية له، بل ليستره في الصلاة، ومع ذلك فرح به غاية الفرح، فكيف لو قدموا له زيادة عليه.

ومن الهدايا أو الجوائز ما كان يقدمه عدد من الأساتذة لطلابهم من طعام أو حلوى بعد انتهاء الدرس أو أثناءه، وذلك مما يجذب الطالب إلى معلمه ويرغبه في درسه، وأذكر أني كنت أحضر وأنا فتى درسا أسبوعيا لأحد العلماء في الفقه، وسأل مرة سؤالا في الدرس، ووعد من يجيب على السؤال بهدية هي (شلن أي خمسة قروش) وكنت أصغر الحاضرين سنا وعرفت الجواب وبعد تردد أجبت فأعطاني الهدية التي عددتها قيمة جدا، وما أزال أذكر الموقف مع مرور السنين والأعوام.

ومن التشويق والترغيب بتولية المناصب ما ورد أن نافع بن عبد الحارث والي مكة لعمر بن الخطاب لقي عمر، فسأله: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: رجل من موالينا، قال عمر: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله تعالى، عالم بالفرائض، قاضٍ، **قال عمر: أما إن نبيكم قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين"(3).**

ومن الترغيب والتحبب إلى الطلبة بإطلاق الألقاب الحسنة عليهم، أن نافعا لقّب تلميذه عيسى بن مينا بقالون، وذلك لجودة قراءته، وهي كلمة رومية -وأصل قالون من الروم- تعني جيد، ولقّب تلميذه عثمان بن سعيد بورش، وقد لزمهما هذان اللقبان حتى صارا لا يُعرفان إلا بهما، وكانا يحبان أن يدعيا بلقبيهما، وكان ورش يقول: "سماني به أستاذي"(4).

- الاستعانة بالعرفاء والمساعدين:

كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة بجامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، ويجعل على كل عشرة منهم عريفا، ويقف هو قائما في المحراب يرمقهم ببصره، وبعضهم يقرأ على بعض، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك، وكان ابن عامر عريفا على عشرة، وكان كبيرا فيهم، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر، وكان عدد المشاركين في هذه الحلقات ألفا وست مئة ونيفا، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائما يستفتونه في حروف القرآن5، وفعل ابن مجاهد في ما بعد كذلك حيث كان الطلبة يزدحمون عليه، فوزّعهم على حلقات، بلغ عددها ثلاث مئة حلقة، كان له خلفاء وعرفاء عليها(6).

وكان نافع يستعين بتلميذه قالون في الإقراء، حيث قال له: اِجلس إلى أسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ(7)، وفي هذه الرواية إشارة إلى حسن اختيار موقع الإقراء، وأن يكون مكانا ظاهرا أو مكانا خاصا محددا ليعرفه الطلاب.

- الدقة في الإجازة وفي تحديد المقدارالمقروء إن لم يكن ختمة كاملة:

ومما ورد فيه أن ابن الجزري أخبر أنه قرأ على شيخه ابن الجندي بمضمن كتابه البستان إلى قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾. وأخبر عن تلميذه صدقة بن سلامة أنه قرأ عليه بالعشرة إلى آخر التوبة، وقرأ ابن الجزري على ابن الطحان الفاتحة وأوائل البقرة للعشرة، واستأذنه في الإجازة فتفضل وأجاز ولم يكن له بذلك عادة، وأخبر عن ابنه أبي الفتح أنه قرأ على ابن السلار الفاتحة بالقراءات السبع وسمع عليه حتى ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ بالقراءات(8).

- الإكثار من الشيوخ والأسانيد والرحلة في طلب القراءات دون كلل ولا ملل ولا فتور :

وفاعلو هذا بحمد الله كثيرون، منهم ابن الجزري الذي رحل إلى بلاد كثيرة منها دمشق ومصر والحجاز وبلاد الروم ووصل سمرقند وخراسان وهرات وشيراز وبها توفي ودفن(9)، ومنهم يوسف بن جبارة الهذلي رحل من بلدته بسكرة في أقصى المغرب إلى فرغانة في أقصى المشرق، طاف البلاد في طلب القراءات، بلغ عدد من لقيهم من الشيوخ ثلاث مئة وخمسة وستين، وكان يقول: ولو أعلم أحدا تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته(10)، ويلحظ ما كان عندهم من همة عالية مع بدائية وسائل المواصلات في زمنهم.

- الاستعانة بوسائل الإيضاح وإعطاء فرصة للطالب ليصحح خطاه:

حيث كان منهم من يرفع يده عند حصول الخطأ للتنبيه إليه، أو الطرق على الطاولة ونحوها، وكان ابن بضحان يشير بإصبعه إذا حصل خطأ أو يضرب على الحصير فإن أصلح الطالب نفسه وإلا أصلح له خطأه(11)، وقد يحصل الخطأ من المعلم أو من شخص ذي منزلة عاليه فيُسأل عن الخطأ الذي حصل منه بطريقة تليق به ليصحح نفسه فيه، كما حصل مع الكسائي حين تقدم ليصلي بهارون الرشيد، قال: فأعجبتني نفسي، واجتهدت في تحسين القراءة وتحبيرها، إلا أنه حصل مني سهو فأخطأت في آية لا يخطئ فيها صبي صغير، أردت أن أقرأ ﴿لعلهم يرجعون﴾ فقلت: (لعلهم يرجعين)، وبعد الصلاة سأله الرشيد قائلا: يا كسائي أي لغة هذه؟ وهو أسلوب لطيف من أمير المؤمنين لتنبيه الإمام إلى خطئه، فبادر الكسائي إلى الاعتراف بالخطأ قائلا: يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، فاستحسن الرشيد اعترافه بالخطأ فقال: أما هذا فنعم(12)، ولو أن الكسائي حاول التهرب من الاعتراف بالخطأ وانتحال حجة باطلة لأوقع نفسه في حرج كبير.

ومن وسائل الإيضاح قديما استخدام حركة الأصابع لتبيين مقادير الحركات.

- إسقاط حظ النفس والتواضع للتحصيل وأخذ العلم من أهله ولو حصل منهم جفاء أو استصغار :

ومن لطيف ما يروى في هذا أن خلفاً قال: ذهبت لأقرأ على شعبة ومعي ورقة من سُليم له -أي توصية- فلما قرأ الورقة صعّد فيّ النظر وقال: أنت خلف؟ قلت: نعم، قال: أنت الذي لم تخلف ببغداد أقرأ منك؟ فسكتُّ -كأن خلفا شعر باستصغار شعبة له- ولعل الشيخ قصد تأديبه بأن لا يرى نفسه كبيرا، ولكن مجرى القصة لا يدل على هذا، فقال: اقعد هات اقرأ، قلت: عليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله لا أقرأ على من يستصغر حملة القرآن، ثم خرجت، فوجّه إلى سليم فسأله أن يردني فأبيت، ثم ندمت ثم نقلت عن تلميذه(13)، ومن العبر في هذه الحادثة: عدم التعجل في الحكم، وفضيلة الرجوع عن الخطأ، واحتمال ما قد يحصل من العلماء مما لا يحبه الطالب ولا يقبله فيتحمل ذلك ولو على مضض، وأن معلم القرآن ينبغي أن يتخلق بأخلاقه(14).

(*) مدير المركز الثقافي الإسلامي- الجامعة الأردنية.

1- ابن الجزري، غاية النهاية 133/2.
2- رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم 8662 (135/9)
3- رواه مسلم برقم 1934 (201/2) وابن ماجه برقم 218 (79/1).
4- ابن الجزري، غاية النهاية 502/1 و615.
5- ابن الجزري، غاية النهاية 606/1.
6- ابن الجزري، غاية النهاية 142/1.
7- ابن الجزري، غاية انهاية 615/1.
8- ابن الجزري، غاية النهاية 247/2، و336/1، و33/1، و251/2.
9- ابن الجزري، غاية النهاية 247/2- 251.
10- ابن الجزري، غاية النهاية 397/2.
11- ابن الجزري، غاية النهاية 58/2.
12- الذهبي، سير أعلام النبلاء 133/9، وابن الجزري، غاية النهاية 538/1.
13- ابن الجزري، غاية النهاية 272/1.
14- يُنظر ما في كتاب: آداب أهل القرآن مع القرآن وأهله، 58.

الحديث (تتمة)

الأخوة الإيمانية :

إذا كان نصر المظلوم له هذه القيمة فإن المأمورات الأخرى من إفشاء السلام (أو رده) وتشميت العاطس وعيادة المريض واتباع الجنازة والنصح... وغيرها أقلّ أهمية ولكن رسول الله ﷺ أفردها بحديث تنويهاً بها وتنبيهاً إلى قيمتها ويرجع ذلك للأسباب التالية:

- أنها لا تكلف من قام بها شيئاً كبيراً.
- لأن من تهاون فيها تهاون فيما فوقها من باب الأحرى.
- لأن **الإسلام بشرعته الحكيمة يريد أن يجعل من الحوادث العامة والخاصة، السعيدة والأليمة.. مناسبات للتعبير عن رابطة الأخوة، وعن المحبة والتراحم، في حالات المصائب كالموت والمرض أو في حالة الفرح كالولائم والدعوات لا يبقى المسلم وحده، يهبّ المؤمنون إلى مؤازرته ومشاركته، في الحالات العادية الطبيعية** كالعطاس واللقاء يسمع المسلم كلمات تعبر عن الرحمة والسلام(22) والبركات والهداية في حالة الاحتياج إلى الغير يجد المسلم إخوانه إلى جنبه براً ونصراً، يبرونه إذا أقسم وينصرونه إذا ظلم.

وهذه سمات المجتمع المسلم في علاقات أبنائه.

فالله الكريم نسأل أن يردّنا إلى هذه المعاني ويرفعنا إلى هذه المعالي إنه سميع قريب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

1- رواه الإمام مسلم
2- هناك نصوص أخرى ورد فيها ذكر حقوق المسلم على اخيه المسلم وقد وردت أيضاً بصيغ العموم مما يسمح بالقول بأنها نصوص متعارضة ولكن منهج الإسلام في التعامل مع النصوص المتعارضة الظاهر يبدأ بالجمع بينها للقاعدة التي تقول بأن إعمال النصوص خير من إهمالها.
3- الممتحنة 9-8. // 4- الأنفال 64-63. // 5- آل عمران 103. //6- الأعراف 31.
7- في مقابل الحصر الحقيقي ، وكونه صورياً أنه يردّ على الذين اعترضوا على تحريم الإسلام لهذه الأشياء فكأنه يقول لهم من باب التحدي لا أحرم إلا هذه . وهذا مما يستفاد من العلم بأسباب النزول.
8- متفق عليه من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.
9- التوبة 92.
10- متفق عليه.
11- رواه مسلم
12- قال ابن الصلاح في المقدمة (ص45): قول الصحابي "أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا" من نوع المرفوع والمسند عند أصحاب الحديث وهو قول أكثر أهل العلم وقال فريق بأنه موقوف منهم أبو بكر الاسماعيلي والأول هو الصحيح لأن مطلق ذلك ينصرف بظاهره إلى من إليه الأمر والنهي وهو رسول الله ﷺ.
13- صحيح مسلم ج 3 / ص 1635 وفي الباب ثلاث عشرة رواية للحديث هذه وسبعة في البخاري وثلاثة في سنن النسائي وواحدة في مسند أبي عوانة وواحدة في سنن الترمذي - كلها مشتملة على أمر يبيح سبعا وينهى عن سبع مع اختلاف بسيط من قبل التقديم والتأخير أو كلمة مكان كلمة أخرى كإفشاء السلام بدلا من رد السلام وإبرار المقسم بدلا من إبرار القسم ونصرة المظلوم بدلا من نصر المظلوم إلا ما تفرد به البخاري في رواية له للحديث نصر الضعيف وعون المظلوم. وكل الروايات في جميع المصنفات عن البراء بن عازب.
14- يتراوح الأمر -نسبة الحديث المخرج في الصحيحين- بين القطع وغلبة الظن.
15- في المسألة نظر أي في تعميم الحكم على المأمورات السبعة وبخاصة في جعلها على درجة واحدة من الجزم.
16- مثل الصلاة والصوم وغيرهما.
17- النساء 33
18- من الأمور التي لا تنسخ الأصول العامة في العقيدة والعبادات والأخلاق والأخبار.
19- (وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ص 24.
20- وهذا ما نص عليه ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه عنه سعيد بن جبير رضي الله عنهما(20) عند قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال ورثة وفي قوله: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ قال كان المهاجري حين قدموا المدينة يرث الأنصاري(20) دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهم فلما نزلت الآية ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قرأ "والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا" من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى له وقد ذهب= =الميراث". وقد نسخ بقوله تعالى : ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾(الأنفال : 75).
21- متفق عليه.
22- "السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته" و "يرحمكم الله" و "يهديكم الله ويصلح بالكم"...

مجرد رأي

لولا الأغبياء لما وجد الأغنياء.....

مثل ينطبق تماما على العديد من السياح العرب في إسطنبول. فأول شيء يسأل عنه السائح وبالأخص السائحة العربية هو القصر الذي صور فيه "مهند" و"لامبس" و"نور" أغلب مسلسلاتهم. والقصر بالمناسبة تعود ملكيته لأحد أثرياء الخليج يزوره الإخوة والأخوات العربيات بعد دفع الشيء الفلاني من أجل التجوال داخل القصر واخذ صور وأفلام تذكارية أمام جدران القصر أو شجرة من أشجاره يكون مهند قد اتكأ عليها أو جلس تحت ظلها فتحصل البركة حتى يعود السائح العربي إلى بلاده ومعه (باروك) "مهند" أو "لاميس".

المحير في الأمر حقا أن الأتراك يقفون منبهرين أمام هذه الظاهرة العربية بامتياز فجلهم لا يعرف أصلا من يكون هؤلاء النجوم الذين يأتي العرب للتبرك بهم والسؤال عنهم. فالأتراك لا يهتمون بسفاسف الأمور و إنما يهتمون بأعاليها، يهتمون بتنمية بلادهم و خدمة مواطنيهم بعدما وثقوا في صدق و تفاني حكومتهم ذات التوجه الإسلامي . إذا كان للعرب نجومهم التافهة فللشعب التركي نجومه الحقيقية يضعون أيديهم في أيدي هؤلاء من أجل تقدم ورفعة بلادهم حتى تكون في مصاف الدول المتقدمة ليس ماديا فحسب وإنما روحيا وحضاريا و أخلاقيا..

من أبرز نجوم الشعب التركي الأبي رجل اسمه رجب طيب أردوكان استطاع بكل إخلاص

وتجرد تام أن يخطف جميع الأضواء بمواقفه الشجاعة لخدمة قضايا شعبه الذي و ضع ثقته فيه وكذالك قضايا الأمة التي ينتسب إليها و يرى من واجبه أن يعيد لها مجدها وكرامتها وعزتها بعدما أذلها آخرون وهبطوا بها إلى مستنقعات الذل والمسغبة والهوان على الناس حتى صارت أمة أيتام على مأدبة اللئام ، مكبلة إلى الأذقان في سلسلة ذرعها السماوات والأرض من الفقر والجوع والضياع والجهل.

في تركيا نجم آخر اسمه فتح الله كولن، رجل بأمة يعيش فقيرا بين بسطاء الناس، كرس وقته و فكره كله للعلم و جمع التبرعات السخية بنى بها المعاهد والمدارس والأحياء الجامعية للنوابغ آمن أبناء بلاده وسائر بلاد المسلمين يدرسون و يتعلمون دون مقابل. في تركيا نجوم كثيرة تضيء سماء تركيا بأعمالها و سمو هممها وتفانيها إنها نجوم حقيقية لا كتلك النجوم التافهة التي يلهث خلفها التافهون والتافهات أجارنا الله وإياكم من الآفات والموبقات.

ذ. عبد القادر لوكيلي

طارق الباب

بَنَتْ حياتها على أحلام أرادت تحقيقها مهما كلفتها من عناء، فرفضت الاعتراف بواقعها الذي لا يسمح للفتاة أن تُصبح طالبة علم، و أقنعت نفسها أن مصيرها لن يكون يوما كمصير قريناتها من الفتيات؛ لما عرفته مسيرتها من تفوق دراسي تعدت جغرافيتها القرية التي تنتمي إليها.

عَشَّشَتْ في قلبها سُحب كَثِيفَةٌ من الأمل، و لم تظن يوما أن أحلامها سَتُوأَدُ في مهدها، وسَتَتَصْبِحُ هي بدونها غريبة مَنْسِيَة وسط طريق محدود الأفق؛ بعد أن قفزت وطارت في السماء كطائر ظل صامدا أمام الرياح ليصل إلى مُبتغاه في المُستقبل الذي اقترب منها قاب قوسين أو أدنى.

في طريقها نحو المَنْزِل كانت السعادة تشعُّ من كيانها؛ لما تَحْمِلُهُ مِنْ أخبار نتائجها الدراسية السارة لوالديها (ممتاز)؛ وما إن وصلت حتى رأت كل أفراد عائلتها مُجْتَمِعِين كأن سِرًّهَا سبقها إليهم؛

غيرت ملابسها واتجهت نحو المطبخ لتشرب كوب ماء بارد تروي به ظمأ (اثنا عشر سنة من التلمذة)، وعند دخولها بيت الضيافة تفاجأت بالنظرات والابتسامات التي تلقتها من الجميع؛ حتى أربكتها الدهشة نَاسِية أمر نجاحها.

فسألت أمها عما يجرِي؛ لكن، عوض أن تجيبها والدتها أجابها ما سمعته من والدها-الذي لم يَعْتَدْ المُكوث في ذلك الوقت بالبيت- بعد أن فتح الباب الذي كان يُطْرَقُ، وقال: (امْرْحْبَا بِيكُمْ الدَارْ دَارْكُمْ).

نظرت إلى أبيها فرأت إشراقة رضا في وجهه شَلَّتْ قواها، وغَلَّقت الأبواب في وجهها؛ لتحول حياتها إلى قطعة موسيقية صامتة مليئة بالحزن والكمد. ماذا عساها تقول إن كان قدرها أن تجعل لحياتها عنوانا جديدا غير الذي كانت تسعى له في كبد!؟

● التلميذة : فاطمة عاقيل(2 باك آداب)

خروقٌ في سفينة المجتمع 9

خرق المجاهرة بالفاحشة

د. عبد المجيد بنمسعود

تتناوش سفينة مجتمعنا العزيز سهام البغي والعدوان من كل حدب وصوب، ومن كل نوع ولون، تبغي بها شرا وفتكا، وتحطيما وإغراقا، ويتولى البغاة المتربصون بأمن هذا الوطن كبرهم، بدم بارد واستخفاف شنيع، وهم يحشدون كل ما في جعبتهم من ضغائن وأحقاد، وينشرون كل ما يبرمونه من أحابيل الكيد تحت تدبير وتدريب مردة شياطينهم من الإنس والجان، الذين يدينون لهم بالتقديس والطاعة والولاء.

وإن من أشد السهام إصابة لسفينة المجتمع في الصميم، حتى تدعها جسما متهالكا منهوكا متداعيا، خرق المجاهرة بالفاحشة، والفاحشة:" هي الفعلة البالغة حدا عظيما في الشناعة"كما ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله. ذلك بأن المجاهرة بالفاحشة إذا تحولت إلى مسلك مقبول، أو مسكوت عنه في أوساط الناس،كان ذلك خليقا بأن تتحول في عرفهم وإدراكهم مع الأيام، إلى أمر مألوف تستسيغه الطباع، وذلك بعينه، هو أحد الأطوار النكدة التي حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من أن تدركها وتنحدر إلى دركاتها السفلى، فتفقد هويتها وهيبتها، وتنسلخ من ميسم الطهر والنقاء الذي يميزها بين الأمم، وأن تتعرى من لباس الحياء الذي يعد إحدى شعب الإيمان العظيمة كما وردت في الحديث النبوي الشريف، وأصل الأصول في رفع بنيان المجتمع الطاهر الذي يأبى أن تتلوث أجواؤه بالتيارات الفاسدة، أو أن يكون محضنا لسوء الأدب وقلة الحياء، وهما اللذان لا يتركان سفينة المجتمع، إذا استبدا بها واستحكما بمفاصلها، إلا وقد ضربها الكساح وداهمتها الأخطار من كل مكان. أعني بالطور النكد الذي ينتج عنه كل هذا السوء والوبال، الطور الذي تنطمس فيه البصائر، ويختل فيه ميزان الرؤية والتقدير، بسبب تراكم المعاصي والذنوب، وسيطرة الران على القلوب، فينتج عن ذلك اعتبار الناس المنكر معروفا والمعروف منكرا. وإذا لم يجد هذا الطور من يوقف زحفه من أولي العزم والإصلاح، رشح للانتقال إلى طور أدهى وأمر، وأعتى وألعن، وهو الطور الذي يكثر فيه الخبث، ويتجرد فيه القوم بكل صفاقة وعمى، للأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

وإن الذي يعاين أحوال مجتمعنا المغربي اليوم، ويتتبع ما يبرز فيه من ظواهر غريبة، وأنماط للتفكير والسلوك تتميز بالشذوذ عن القواعد والأصول التي قام عليها الكيان الحضاري للشعب المغربي،وعن القيم السامية التي شكلت غذاءه على مر العصور، و حصنه الحصين، ضد عمليات التذويب ومحاولات التهجين، يصاب بالذهول إزاء هذا التطور الرهيب في الاتجاه المعاكس للفطرة، وهذا الانتكاس الذي أصاب الأمن الروحي والأخلاقي في السويداء. فلم تبق قيمة من القيم التي مثلت أساسا لمناعة الأمة واستمرارها،ومثارا لفخرها واعتزازها، إلا واقتحمت في خدرها، وتم التجرؤ عليها، في سياق مسلسل الاختراق والإغراق، الذي اتخذ له أساليب غاية في المكر والدهاء، والتنكر في شتى الصيغ والأزياء، قبل أن يتم سقوط الأقنعة، وكشف المتنكرين عن وجوههم، وزعمهم امتلاك الشرعية فيما يقولون وما يفعلون، وفيما يطرحونه من أفكار شاذة بتراء، وممارسات ممجوجة بلهاء، سندهم في كل ذلك ما يعتقدونه حقوقا مكتسبة في أن يتطاولوا على مواريث الأمة بالنقد والتجريح، باسم حرية لا تعرف لديهم ضوابط ولا حدودا، ولا ترعى في شرف الشعب وكرامته إلا ولا ذمة، وكتابهم الموثوق وصحفهم المقدسة، هي المواثيق المسماة دولية، والتي يزعمون لها الهيمنة والسمو على دين الإسلام الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾.

أليس من نتاج ذلك المسلسل الوبيل وثماره المرة، أن يعلن " ناشط من حركة 20 فبراير وصحافي في مجلة مغربية فرنكفونية في مداخلة له، خلال ندوة نظمتها صباح الجمعة 23 مارس بالرباط،وزارة التضامن والمرأة والأسرة والتنمية الاجتماعية حول "المرأة بين التشريع والواقع"، بأنه يقيم علاقة جنسية خارج مؤسسة الزواج، مع عشيقة له، داعيا إلى عدم اعتبار هذا الأمر مستهجنا، لأنه حسب قوله" لا يضر المجتمع بهذه العلاقة الجنسية"(جريدة المساء، عدد السبت الأحد 23. 24 مارس 2012م)، وأن تجري المجاهرة بانتهاك حرمة رمضان، في تحد سافر لدين الدولة والشعب، منذ عهد قريب، أو ليس هذا الانتهاك العملي الصارخ لدين الله، وذاك التبجح القولي بممارسة الفاحشة أمام الملأ سوى حصاد حتمي، لسكوت أهل السفينة حكاما ومحكومين، على عربدة أهل الفسوق والعصيان، واختراقهم لجميع الخطوط، تحت مختلف الذرائع الباطلة، بما فيها بناء المجتمع الحداثي العلماني الذي يتمتع فيه الأفراد بحرية التصرف بلا حدود ولا رقيب، بما في ذلك حرية التصرف في الجسد، سكوت شيطاني، سمح لجراثيم الداء، أن تنتشر عرضا وطولا في أرجاء الوطن، وتعيث فيها فسادا، وللأفاعي الرقطاء، أن تنفث سمومها، وأن تفقس بيضها لتكثير نسلها في السهول والأودية والجبال.

ما أبله ذلك الدعي الأخرق، وهو يزعم أن اقترافه للفاحشة لا يترتب عنه ضرر للمجتمع، ألا ليته يعلم أنه يمثل هو وزمرته ممن يشاطرونه فكره السقيم، نفس التصور لمن كان لهم أسفل السفينة بموجب الاستهام عليها، "فقالوا لو أننا جعلنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا" ولعل من حسن حظ ذلك الدعي الذي خدرته، ومن هم على شاكلته، الأهواء، أن ينقض عليه أحد الأسود الذين يمثلون طليعة الوعي والإصلاح، ممن ندبوا أنفسهم، ثم ندبهم ركاب سفينة المجتمع التي ترهلت ألواحها بفعل رحلة التيه، لإصلاح ما أفسد الناس، وجعله تحت طائلة الفصل489، من القانون الجنائي، الذي يدان بموجبه المجاهرون بالفاحشة، والمتبجحون ممن شهدت عليهم ألسنتهم في الدنيا قبل الآخرة.

إن من صفات العظمة في منهج الإسلام التربوي، أن يقطع دابر الفساد لا بتركه ينمو ويترعرع، ثم يصارعه بعد ذلك، في معركة مأساوية تكثر فيها الخسائر وتسيل فيها أنهار الدماء، ولكن ببناء النفوس المؤمنة، على هدى وبصيرة، وبسد ذرائع الفساد، ثم بتوفير درع للردع، تلوح بسياط العقاب،لمن تسول لهم أنفسهم النيل من السفينة بخدش من الخدوش، وأخيرا بإيقاع المناسب من العقاب، على كل من ركب رأسه واتخذ إلهه هواه، قطعا لرأس الحية، وصيانة لأمن السفينة من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

إن الإسلام بمنهجه التربوي الفريد،يرصد للمجاهرين بالفاحشة حدا رادعا يضع حدا لرعونتهم، ولعبثهم بهيبة المجتمع، ويخمد شهواتهم إلى الأبد، ولكنه لا يقف عند هذا الحد في صيانة سفينة المجتمع من أن تبتذل أو تهان، إنه يعلن حربه الاستباقية على الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا،بالتلويح لهم بعصا العذاب الشديد في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وجعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيها على أن محبة ذلك تستحق العقوبة ; لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين . ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيرا حتى يصدر عنه ما هو محبب له أو يسر بصدور ذلك من غيره."

إن من شأن القضاء الصارم والنزيه على ظهر سفينة المجتمع المغربي، أن يخوض حربا ضروسا لا هوادة فيها، لتطهير جيوب السفينة وطبقاتها ودهاليزها التي عشش فيها الفساد، بل إن الذي يضمن لذلك الجهاز العتيد حظوظ النجاح، هو انخراط جميع أهل السفينة في هذه العملية التطهيرية بحب وإخلاص، وأمل في ميلاد جديد، يتخلص من خلاله جسم الشعب من الخلايا السرطانية المريضة التي أورثته الآلام والعذاب.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله.

ألسقوط والوهن الحضاري للأمة الإسلامية أية أسباب

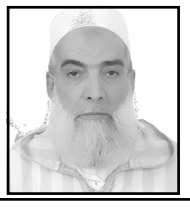

د. محمد البوزي

لاشك أن السقوط الحضاري أو الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية منذ عقود تاريخية إلى الآن، له أسباب وعوامل عدة، يتداخل فيها ماهو تاريخي قديم، بما هو حادث ومعاصر، وما هو داخلي ذاتي في الأمة، بما هو خارجي وعدواني عليها، والموضوع لا يتسع لاستيفاء هذه الأسباب والعوامل من كل الزوايا- فذلك من شأن الأبحاث المتخصصة في التاريخ والحضارة- وحسبنا الاقتصار على الأسباب العقدية والخلقية المرتبطة بالتقوى و التي هي من صميم موضوعنا، وأهمها مايلي :

■ **الانحراف عن منهج الرسول والصحابة في تدبير شؤون الأمة :**

إن أهم سبب في انحراف مجموع الأمة عن منهج الإسلام في نظام الحياة هو انحراف روادها وزعمائها -ولاة وعلماء- عن منهج الرسول [والصحابة الكرام في الفهم والعمل، فمذ أيام الفتنة الكبرى، وظهور الخلافات، وطغيان المناهج الكلامية التي أفرزتها الفلسفات الوافدة على الثقافة العربية الإسلامية، ظهرت بوادر الفساد تتجلى في اتباع الأهواء وانتشار البدع والضلالات من جهة، وفي تعميق الخلافات العقدية والمذهبية من جهة أخرى، وقد أدى ذلك - بمرور الزمن- إلى التمكين لأنظمة سياسية خارجة عن نهج الشورى والولاية الشرعية في الأمة، فانحرف الولاة عن الاستقامة والعدالة، واتخذوا بطانتهم من أعداء الإسلام -أهل الكتاب والمنافقين والشعوبيين- لحماية عروشهم من أطماع المنافسين وأبناء العمومة، فصار الولاء للأشخاص والمذاهب أو للنزعات العرقية والقبلية، كما انحرف العلماء (علماء البلاطات خاصة) بسبب الأطماع والأهواء فوقعوا في أيدي الولاة -بل وفي أيدي القواد والأجناد أحيانا- فصاروا يزكون أعمالهم ويشهدون لهم بالكمال والفضل، ولا أضر على الأمة من أشباه العلماء المضلين، والقواد والأمراء المتسلطين ولو كانوا تحت راية الإسلام، وهم فاقدوا التقوى والصلاح، وكان من نتائج انحراف الولاة والعلماء مايلي :

- الاهتمام بجباية الأموال من العامة دون العناية بتعليمهم وإصلاح عقائدهم.
- غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
- انصراف الأمة عن الجهاد ونصرة الإسلام،
- شيوع ظاهرة التنافر والتفرقة والتباغض بين المسلمين وربما التناحر والاقتتال على الزعامات والمناصب.

فحق على مجموع الأمة ما أخبر به الصادق المصدوق [: «...ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله،إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»(8).

ورحم الله العلامة المصلح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، إذ يقول : «...ولما صارت ولاية أمر المسلمين في أيدي القواد والأجناد وخرجت من يد الخلفاء والعلماء معا، تولى أمر الأمة قادة متسلطون ماكرون اتخذوا أشباه العلماء، ومشايخ يلبسون لبوس الدين والعلم، (وليس لهم من العلم والتقوى نقير ولا قطمير)، بل هم في العلم زاهدون لأنهم ليسوا من أهله وإنما استمدوا قوتهم من قوة الأمراء والقواد، فتقارض الفريقان الشهادات بالتزكية والتراضي على المنافع الدنيوية، والسكوت عن المنكر،..». نستنتج من النص أن القضية الأساس في انحراف الولاة والقواد وصنائعهم من العلماء هي ضعف الإيمان والوازع الديني وبعبارة أخرى هي غياب التقوى إذ التقوى والعدل هما مناط صلاح الراعي والرعية، الراعي وجب عليه العدل وتقوى الله في أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم، والرعية وجب عليها الطاعة والنصح لولاة الأمور، وقدوة العامة وقلب الأمة هم علماؤها فإذا فسد هؤلاء فسد ت الأمة.

■ **ضعف الوازع الديني واتباع الأهواء لدى العامة :**

لقد نتج عن انحراف رواد الأمة وعلمائها أن انحرف العامة بدورهم إلا من رحم الله- لأن الناس على دين ملوكها كما يقال- فشاع الجهل، وضعف الوازع الديني وغابت التقوى، فاتبع الناس أهواءهم وانصرفوا عن أمور الدين وانشغلوا بأمور الدنيا، وكان همهم الأكبر هو كسب الرزق والتنافس على متاع الدنيا، فعم بذلك الظلم والفساد الخلقي والاجتماعي في أوساط المجتمعات، وشاعت التفرقة بين شعوب الأمة الإسلامية، وغاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانصرفت الأمة عن الجهاد ونصرة الإسلام، فصارت ذليلة ولقمة سائغة للمحتل الأجنبي.

■ **تكالب الأمم الكافرة منذ القديم على أمة الإسلام :**

ولقد كان الكفار والمنافقون بالمرصاد لأمة الإسلام منذ تأسيسها، وبالأحرى منذ وقوع الفتنة الكبرى بسبب الخلافة، فكلما سنحت الفرصة للكفار وأعوانهم من المنافقين والشعوبيين، استغلوها وزرعوا الفتن بين المسلمين، أو أججوا نيرانها، فكانوا يحيكون المؤامرات ويكيدون المكايد للقضاء على الخلافة الشرعية الإسلامية حتى تمكنوا من ذلك لما أسقطوا الخلافة العباسية في بغداد، وبذلك مهدوا الطريق للغزو الصليبي لديار الإسلام، ثم العمل على إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية ، ثم تقسيم البلاد الإسلامية إلى دويلات، في العصر الحاضر، وغرس الكيان الصهيوني الخبيث في قلب الأمة الإسلامية كالسرطان ليمزقها، فأذكوا نار التفرقة بين المسلمين بإثارة النعرات والنزعات القومية والطائفية والقبلية في كل الأقطار الإسلامية..ثم الغزو الثقافي الذي كان من آثاره المدمرة ؛ تحكيم القوانين الوضعية، وإحلال الأنظمة التعليمية العلمانية، محل نظام التعليم الإسلامي مما أشاع ثقافة الفساد والإباحية والانحلال الخلقي والقيم المادية البراگماتية وكل ما ينافي التقوى وأخلاق المتقين.

8- سنن ابن ماجة كتاب الفتن وهو حديث صحيح.

بشرى للمغاربة بصدور أول مجلة صحية باللغة العربية في المغرب

تحت شعار: "**لنسهل استعمال اللغة العربية في الطب والصحة**"، احتفلت الجمعية المغربية للتواصل الصحي التي تأسست يوم 18 شتنبر 2010 في مدينة فاس بكلية الطب والصيدلة بصدور العدد الأول من المجلة الصحية المغربية في رحاب كلية الطب والصيدلة بفاس يوم الجمعة 10 ربيع الثاني 1433 الموافق 02 مارس 2012 - وهي أول مجلة تصدر بالعربية في المجال الطبي والصحي بالمغرب - وقد صادف إصدارها الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية.

وتهدف المجلة إلى تسهيل استعمال اللغة العربية، اللغة الرسمية لبلادنا كأداة للتواصل الصحي بين مهنيي الصحة والمواطن.

وتأتي فكرة إصدار مجلة صحية باللغة العربية انطلاقا من قناعتها أن هذه اللغة -الغنية بتاريخها وتراثها وعطاءاتها المختلفة في جميع الميادين، خصوصا العلمية منها والتي أثرت العالم لقرون عدة- قادرة على أن تساهم الآن كما ساهمت في الماضي في التقدم العلمي عموما والصحي خصوصا .

ولاشك أن وجود أدوات تحصيل علمي في المجال الطبي باللغة الأم ، يساعد الأطباء والطلبة على استيعاب أفضل وفهم أعمق للمعلومات مما يدفع في اتجاه الإبداع والسبق، ويخرج من إطار الاستهلاك العلمي الصرف.

إن تجارب بعض الدول العربية في هذا المجال أثبتت أن الكتابة والتحصيل والتكوين باللغة العربية شيء ممكن بل طبيعي ولا يتناقض مع السعي إلى مسايرة التقدم العلمي خصوصا في المجال الطبي، وللتذكير فإن جميع الدول المتقدمة علميا تدرس العلوم والطب بلغاتها حتى وإن كانت لغات محدودة الانتشار.

وتحرص المجلة لأن تكون مصدرا غنيا ومتجددا للمصطلحات الطبية باللغة العربية وللتكوين الطبي الأكاديمي رافعة شعار "لنسهل استعمال اللغة العربية في الطب والصحة". لذلك توخت هيئة التحرير الوضوح اللغوي والمصطلحي من خلال إدراج المترادفات الفرنسية ومقابلها اللغوي العربي وكذلك ملاحق لغوية في آخر المقالات. سلكت المجلة سبيل الإيجاز العلمي بإصدار مقالات مختصرة وتطبيقية مع التركيز على شمولية المادة العلمية وتناسقها باستهداف مختلف مهنيي الصحة من أطباء وصيادلة وأطباء أسنان وممرضين من مختلف الاختصاصات فجمعت بين الطابع الأكاديمي والطابع التطبيقي مسايرة للمستجدات العلمية على المستوى العالمي.

وحرص المشرفون على المجلة أن تصدر في حلة جميلة وبإخراج فني متميز يليق بمكانة اللغة العربية ويحفز على المطالعة.

ويأتي حفل إصدار أول عدد في رحاب كلية الطب والصيدلة بفاس وبشراكة مع جامعة سيدي محمد بن عبد الله وكلية الطب ليعطي هذا الحدث أهمية خاصة لما تتمتع به مدينة فاس من إشعاع حضاري وعلمي في الوطن العربي والإسلامي.

وقد ترأس الجلسة الدكتور أحمد عزيز بوصفيحة رئيس الجمعية، في حين ألقى أولى كلمات الحفل الدكتور السرغيني فارسي رئيس الجامعة الذي رحب بالمبادرة ووعد بالعمل على إنجاحها والمساعدة في ذلك بصفته رئيسا للجامعة، تلتها كلمات عميد كلية الطب والصيدلة بفاس والدكتور الحبيب بن عدية الكاتب العام للجمعية والدكتور محمد البياز رئيس تحرير المجلة ليختم اللقاء بكلمة الدكتور الشاهد البوشيخي الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الذي نوه بالجمعية وبالمجلة الوليدة ووعد بالتعاون التام من أجل إعادة الاعتبار للغة القرآن وتدريس أبناء الأمة بلغتهم الأم.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول فرحين لكل المغاربة، بارك الله لكم في الموهوب وشكرتم الواهب، ونسأل الله تعالى أن يبلغ أشده.

تابع الحفل وأعد التقرير:
عبد الحميد الرازي

نافذة المرأة المسلمة

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

"ما نصر الله هذه الأمة إلا بالدين واجتناب الغدر وإقامة العدل"

حكايات للتدبر في شأن أهمية الدين

زمن جميل ذلك الذي مضى، إذ شهد الإنشداد الحق للعباد إلى المولى سبحانه، والاستحضار المتواصل للخشية منه، مع الأنس به من كل وحشة وغربة، والاستشعار القوي لعظمة وحرمة الدين المعز بعد ذلة، حتى أن الحديث النبوي في سياق آلاف الأحاديث العجيبة المرامي لرسول الله [، يذكر لنا قصة الثلاثة الذين آووا إلى غار فسدت صخرة منفذ الخروج منه فأخذ كل واحد فيهم يستعرض فصول حدث من الأحداث التي امتثل فيها إلى الله عز وجل حياء منه، وكان من صنيع أحدهم أن جلس من ابنة عمه جلوس الرجل من المرأة لينال منها، وهي المحتاجة إلى عونه، المضطرة إلى الرضوخ لمساومته، وقبل أن يتمكن منها صاحت به : "لا تفض الخاتم إلا بحقه"، فقام عنها وهو أشد ما يكون رغبة فيها..وانتصرت هي لدينها، وهي الجائعة المضطرة، وكل ذلك لهيبة الدين في نفسيهما..

ثم سنوات بعد ذلك والزمن يواصل دورة طرح ثمار الإيمان النبوية الوارفة، سيرسل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى القاضي على مدينة سمرقند ليعلمه بضرورة أخذ الحق لأهل المدينة من جيوش المسلمين المشتكين من عسفهم، فكان ما كان من أمر الحكم الأسطوري العدالة، للقاضي الذي انتصر للمستضعفين من المسيحيين على حساب المسلمين من بني جلدته. وفيما يلي تفاصيل هذه القصة التي تدور وقائعها بين القاضي والكاهن المشتكي وقائد جيش المسلمين قتيبة.

غلام القاضي مناديا: يا قتيبة، فجاء قتيبة وجلس هو وكبير الكهنة أمام القاضي "جُمَيْع"، ثم قال القاضي: ما دعواك يا سمرقندي؟

قال: اجتاحنا قتيبة بجيشه، ولم يَدْعُنَا إلى الإسلام، ويمهلنا حتى ننظر في أمرنا

التفت القاضي إلى قتيبة وقال: وما تقول في هذا يا قتيبة؟ قال قتيبة: الحرب خدعة وهذا بلد عظيم، وكل البلدان من حوله كانوا يقاومون، ولم يدخلوا الإسلام ولم يقبلوا بالجزية.

قال القاضي: يا قتيبة، هل دعوتهم للإسلام أو الجزية أو الحرب؟

قال قتيبة: لا، إنما باغتناهم لما ذكرت لك.

قال القاضي: أراك قد أقررت، وإذا أقر المُدَّعَى عليه انتهت المحاكمة. يا قتيبة، ما نصر الله هذه الأمة إلا بالدين، واجتناب الغدر، وإقامة العدل.

ثم قال: قضينا بإخراج جميع المسلمين من أرض سمرقند من حكام وجيوش ورجال وأطفال ونساء، وأن تُترك الدكاكين والدور، وأنْ لا يبق في سمرقند أحدٌ، على أنْ ينذرهم المسلمون بعد ذلك. لم يصدق الكهنة ما شاهدوه وسمعوه! فلا شهود ولا أدلة، ولم تدم المحاكمة إلا دقائق معدودة، ولم يشعروا إلاّ والقاضي والغلام وقتيبة ينصرفون أمامهم.

وبعد ساعات قليلة سمع أهل سمرقند بجلبة تعلو، وأصوات ترتفع، وغبار يعم الجنبات، ورايات تلوح خلال الغبار. فسألوا، فقيل لهم: إنّ الحكم قد نُفِّذَ، وأنّ الجيش قد انسحب. في مشهدٍ تقشعر منه جلود الذين شاهدوه، أو سمعوا به. وما إنْ غربت شمس ذلك اليوم إلا والكلاب تتجول بطرق سمرقند الخالية، وصوت بكاء يُسمع في كل بيتٍ على خروج تلك الأمةً العادلة الرحيمة من بلدهم.

ولم يتمالك الكهنة وأهل سمرقند أنفسهم لساعات أكثر، حتى خرجوا أفواجًا وكبير الكهنة أمامهم باتجاه معسكر المسلمين وهم يرددون شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله).

هي قصة إذن تقشعر لها الأبدان وترتج لها المسام وتصعق لها الحواس، ويترسخ بالتدبر فيها وغيرها من قصص لا تعد ولا تحصى، **الاعتقاد التام بأن الغلبة لدين بهذه العظمة،هي مسالة وقت فحسب، و لا يحتمل هذا الاعتقاد أي شك، ففي تركيبة هذا الدين كل عوامل القوة والعزة والكرامة والعدل والطمأنينة والراحة، إذ لا يشكو قصور ومحدودية وعجز البشر، فحيثما كانت التقوى، كان تعليم البشر للأسماء كلها من طرف الله عز وجل بما فيها أبجديات القضاء الأمثل والأرقى، بل وكل المعاملات الإنسانية النبيلة، فمال دعاة فصل الدين عن الدولة ببلادنا يتحينون المناسبات للتبخيس من شأن الدين في إصلاح أمور الدنيا وأهلها؟؟.**

حرية المعتقد للجميع إلا للشعب

تتملك ثلة من دعاة فصل الدين عن الدولة ببلادنا مع صعود الحركة الإسلامية إلى سدة الحكم كل نوازع الشغب والعنف هاته التي نشهد تفتق براعمها المتوحشة في كل موقع وناد.. حتى ليتساءل المرء، كيف يبخل هؤلاء على هذه الشعوب، بمرحلة جديدة تجرب فيها طرحا مغايرا لطرح الماضي، أليست العزيزة الديمقراطية هي التي أتت بهذه الحركة إلى السلطة..وهل سنضطر مرة أخرى إلى الاستعانة بالمثل المغربي : "اطلع تأكل الكرموس شكون قالها ليك"..

الحكاية التي سقناها في بداية المقال تقدم لنا مثلا في تدبير ملف قضائي دولي أدار فيه القاضي ملفا شائكا بكل موضوعية وأمانة واقتدار من منطلق ديني صرف يقول فيه سبحانه، (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). **فكيف يراد لهذا الدين أن يرتد إلى الزوايا، ويصبح مسالة شخصية لا مسالة مشروع مجتمعي يختزن في ذاته كل مقومات إطلاق الطاقات وإحياء الأنفس وإنارة الآفاق بالرحمة والعدل؟؟..**

وفي السياق نستعرض أحداثا وقعت في الأيام الأخيرة ببلادنا وأثارت الكثير من التساؤلات، وحركت كوامن القلق من جديد لدى شريحة واسعة من المواطنين يبدو أنهم لن ينعموا لمدة طويلة بثمار اختيارهم الحر لمن يمثلهم، مع تنامي مشاعر التشكيك في فعالية ومصداقية هذه الدينامية النوعية الجديدة في تدبير السلطة. ففي برنامج تلفزي لإحدى القنوات الفضائية لم يتحرج ضيوف البرنامج من إعلان رفضهم لمظاهر الاحتجاج الشعبي ضد آفات اجتماعية أهدرت أمن وجيوب المواطنين بشكل خطير جدا ويتعلق الأمر بالدعارة، وبيع الخمور. وكان لافتا أن تتعامل أطياف المجتمع المدني الممثلة في جزء منها في البرنامج مع مجمل الاحتجاجات التي عرفتها بلادنا بمنطق المساندة اللامشروطة للحق في التعبير، وحين اغتنم المواطنون فرصة هبوب هذه الرياح التحريرية ليعربوا عن رفضهم لكبائر كالدعارة وترويج الخمور، وهي مصائب عظمى شردت مئات البيوت وقتلت آلاف الشباب، وأحالتهم إلى العطالة والانحراف الأكبر داخل السجون، كانت الهيئات الحقوقية بالمرصاد لهذه الانتفاضة بما فيها من إيجابيات (مع الرفض طبعا لسلبياتها المتجاوزة للإطار الأمني المخول قانونيا لتدبير قضايا البلاد والعباد)، واعتبرت هذا الاحتجاج الشعبي بمثابة إفراز لوصول حزب "محافظ" إلى السلطة.

ودعوني بالمناسبة وقبل أن أواصل حديثي هذا، أضع بين أيديكم هذه الحكاية المأساوية التي وقعت أطوارها بمدينة الدار البيضاء، والتي تبين بوضوح مصيبة استفحال آفة الخمر والمخدرات، فقد أقدم شاب مخمور، وتحت تأثير المخدرات على تجريد أمه من ملابسها وسط توسلها بأن يأخذ كل ما لديها من مال، بشرط أن لا يقرب جسدها، لكنه استمات في قسوته وعرضها لممارسة جنسية شاذة، وأحدث لها جروحا في صدرها بسيفه لمقاومتها له، وإذ سمع الجيران صراخها، وأعلموا الشرطة ودخل بعض الفضوليين إلى مسرح الجريمة، خرجوا وهم يغطون وجوههم استحياء من هول ما رأوا من صنيع ولد مخمور عاري الجسد تماما بأمه.. ولم تلبث هذه الأخيرة إلا قليلا ثم توفيت من آلام الصدمة النفسية والروحية التي خلفها ابنها بداخلها..

ووراء جل جرائم العنف ضد النساء كانت أم الخبائث والمخدرات مع التحرش الإعلامي السائب عناصر وأداة الجريمة الأولى، ومع ذلك ظل ضيوف البرنامج يشاكسون بعبعا لا يوجد إلا في أدمغتهم إسمه الحزب الحاكم منشغلين بهم زائف يحوم حول مفهوم حرية المعتقد ، والخوف على حضرته من أصابع التطرف التي تحرك المحتجين هنا وهناك.

واللحظة، ونحن على مشارف ختم المقال طالعني خبر خطير الأبعاد والدلالات يقول أن شابا أخرج جثة طفلة تبلغ ثماني سنوات من قبرها بمدينة سلا، واغتصبها وهي ميتة..

وقال معلقون على الخبر أن الحدث من وحي بركات فتوى الشيخ الزمزمي حول جواز (....) الجثة. وقال آخرون أن الغياب الفادح لأهل الدين هو الباعث لكل هذه الاختلالات..

فهل هو غياب أم تغييب كما رأينا؟؟؟ وللحديث بقية بإذن الله.

إعلان عن مناقشة أطروحة

نوقشت أطروحة الدكتوراه في العلوم الشرعية بكلية الشريعة أعدها الطالب : عبد الرحمان بوعلي في موضوع : "**محمد بن محمد سالم المجلسي ومنهجه في تفسيره الريان في تفسير القرآن**"، وكانت اللجنة العلمية مكونة من :

ادريس الزعري مشرفا ومقررا، ومن الدكاترة : جميلة زيان، وإدريس الخرشافي، وحسن العزوزي بصفتهم أعضاء

وانتهت المناقشة بمنح الباحث شهادة الدكتوراة بميزة مشرف جدا.

فهنيئا للأستاذ عبد الرحمان بوعلي بهذا الإنجاز العلمي ونسأل الله أن ينفع به الأمة، وأن يزيده فضلا وعلما.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

36– قرة العين

أفاقت من عملية جراحية طويلة ودقيقة.. ساعة أمامها تشير إلى الخامسة مساء.. أين ذلك الفريق الطبي الكبير؟ تذكرت القبر ووحشته حين يهال التراب وينصرف المشيعون.. ثمة وشوشة ممرضات من بعيد.. حاولت أن تحْدث أي صوت ليسرعن إليها.. لكن هيهات هيهات.. فقد خارت قواها.. لا تريد منهن إلا تغطية رأسها للصلاة.. فعليها الظهر والعصر قصرا وجمع تأخير.. لكنها تذكرت مشكلة أخرى؛ فكيف ستتيمم وهي مكبلة بالمصل وأسلاك آلات طبية.. تذكرت فتوى تجيز للأسير الصلاة بدون وضوء أو تيمم..بكت..فكيف لم تسأل العلماء عن ذلك الموقف قبل العملية..؟!

فرحت حين اقتحم حنجرتها أنين خافت.. هرع رئيس الممرضين.. لكنه لم يفقه حركة شفتيها.. وظن أنها تهذي.. انهمكت الممرضات في إسعافها.. واسينها حين رأين دموعها.. لم يعرفن حقيقة بكائها..!

كانت تبكي على صلاتها..لأن آذان المغرب يقترب.. هرعت إليها ممرضتان من قسم آخر.. كانت قد أوصتهما بتذكيرها بالصلاة.. يممتها إحداهن بحجر.. وغطت الأخرى رأسها... صلت.. وما أصعب الصلاة حينها وما أحلاها أيضا...!

صارت تلك الممرضات يعدنها في غرفتها ويعرضن عليها مساعداتهن..بل ربطن معها علاقة طيبة...!

بعد مدة طويلة..بحن لها بسر ذلك..فما هو السر؟!

كلما زارتها إحداهن.. بكت.. وقالت لها : لم ننس -كلنا- ذلك المشهد وأنت تبكين على الصلاة..ثم صليت أمامنا وأنت لا تستطيعين الكلام ولا الحركة..كنا ننتظر أن تفيقي من العملية وأنت تهذين كما يحدث لأغلب المرضى.. حينها خجلت من نفسي وبكيت منها وعليها.. سمعت وقرأت مواعظ لا تحصى عن الصلاة.. لكن ذلك المشهد كان أشد تأثيرا.. كنت كلما بدأت الصلاة.. نازعتني مخاوف شتى؛ شعري الذي أخسر عليه مبالغ باهظة عند الحلاقة.. ومساحيق وجهي... فأترك الصلاة لأجل ذلك...

أتدرين أن حديثنا لم يعد في المصحة إلا عن الصلاة؟ فقررنا وتعاهدنا أن نلتزم بها.. لقد هزنا كلامك كالزلزال حين أجبتنا بعد أيام من ذلك : "كنت أخاف أن أموت قبل الصلاة.." لا تدرين كم أحببناك وقدرناك.. نعم.. أحببناك لله وفي الله.. فقد أعطيتنا درسا عمليا لا ينسى.. وكلما تهاونت عن الصلاة.. تذكرتك.. فأهرع إليها.. وأحمد الله أني معافاة ..أستطيع الوضوء والركوع والسجود..وأبوح لك بسر آخر: فقد تذوقت حلاوة الصلاة..وكل يوم تمنحني بركات حرمت منها نفسي طويلا: مناجاة الله عز وجل والصبر والطمأنينة...

بكت مريضتنا المعافاة.. وقالت في قرارة نفسها : "رباه لك الحمد أن ثَبَّتَّنِي على الصلاة.. ولك الحمد أن ابتليتنِي لأدعو إلى قرة العين وقد كنت عاجزة ضعيفة..!".

الرغبة في القراءة

ذ. عبد الكريم بكار

بداية نقول إن الرغبة تُصنع صناعة على أيدي المربين والمعلمين، وبتأثير من المحيط والبيئة السائدة، ووعدت أن أتحدث عن نموذج للرغبة المصنوعة، وهو الرغبة في القراءة، وأنا الآن أفي بما وعدت به.

يقولون: أنت لا تستطيع معرفة اهتمامات الناس حين يكونون مشغولين، لكن أعطهم وقتاً حراً، أو اجعلهم في موقف ينتظرون فيه حدوث شيء، ثم تأمل في الأمور التي ينشغلون بها، وهذا صحيح، وقد رأيت أن الانتظار مدة أربع أو خمس ساعات في المطارات الدولية بين رحلة ورحلة يكشف فعلاً عن اهتمامات الناس، وقد رأيت ذلك مرات عديدة، كما رآه غيري؛ فالأوربيون - والغربيون عموماً تكون معهم - غالباً - كتبهم وحاسباتهم الشخصية، وبها يملؤون وقت الانتظار بين رحلة وأخرى، أما أبناء ما يُسمّى بالدول النامية فإنك ترى معظمهم حائرين في ملء الفراغ الذي أتيح إليهم؛ فمنهم من ينام على كرسيه، ومنهم من يذهب إلى مكان تناول القهوة والشاي، ومنهم من يقلّب نظره في الجالسين والعابرين.. ولا شك أن الفارق بين هؤلاء وأولئك لم يأت من الموروث الجيني، وإنما من التربية والتنشئة والبيئة.

لو تساءلنا عن أساليب تحبيب القراءة إلى الصغار، فإن الجواب سيُغرقنا بالعشرات من التفاصيل الصغيرة، فلنتحدث إذن عن المبادرات والأساليب الأساسية، وهي أيضاً كثيرة، ولعل أهمها الآتي:

1- أسرة مهتمة:

الخطوط العميقة في شخصية الطفل تُرسم في السنوات الست الأولى من عمره، ولهذا فإن الأسرة هي التي تتحمل العبء الأكبر في صناعة رغبات الطفل، ومنها الرغبة في القراءة. إن الأسرة هي التي ترجِّح ما أمام الطفل من خيارات، وهي التي توجِد في نفسه الميل إلى القراءة والرسم والتلوين والكتابة، كما أنها هي التي تتيح له أن يتعود الانغماس في اللهو واللعب والخروج مع الرفاق وتتبع الأمور التافهة؛ ولهذا فإن اهتمام الأسرة بتعويد أطفالها على القراءة هو شرط أولي وأساسي، ولطالما كان الاهتمام أباً لمعظم الفضائل.

2- أسرة قارئة:

الأسرة القارئة ليست هي الأسرة المتعلمة، لكنها الأسرة التي يمارس أفرادها القراءة كل يوم؛ إذ إن الطفل حيثما التفت وجد أباً ممسكاً بكتاب، أو أخاً يرسم شيئاً، أو أماً تشرح لأخيه شيئاً غامضاً في أحد المقررات الدراسية. إن مشاهدات الطفل لهذه الأنشطة تجعله يوقن بأن العيش مع الكتب والورق والأقلام هو العيش الطبيعي، وقد أجرت الرابطة الأمريكية لمجالس الآباء استطلاعاً حول موضوع القراءة لدى الصغار، وقد تبين من ذلك الاستطلاع أن (82٪) من الأطفال الذين لا يحبون القراءة لم يحظوا بتشجيع آبائهم وأمهاتهم. ولا ريب أن التشجيع على القراءة لا يكون بالحث ولكن بإيجاد جو، يقتدي فيه الصغار بالكبار؛ ولهذا يمكن القول: إن أطفالنا لا يمارسون نشاط القراءة؛ لأننا نحن الكبار لا نفعل ذلك!

3- المكتبة المنزلية:

حين تدخل إلى بيوت معظم الغربيين تجد الكتاب في كل ركن من أركان المنزل، ولهذا فإن الطفل يألف وجود الكتب، ويألف رؤية من يقرؤها في كل وقت. كثير من بيوتنا خالٍ من أي مكتبة، وبعضها فيه مكتبات، ولكنها أشبه بالمتاحف؛ إنها لتزيين المنزل، وليست لنفع أهله، لهذا لا تمتد إليها أي يد!

المطلوب أن تكون هناك مكتبة تغذي عقول الصغار والكبار، ويشترك جميع أفراد الأسرة في اختيارها، وهي تحتاج إلى تجديد وتغذية مستمرة.

4- ضبط استخدام وسائل التقنية:

قد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن التلفاز والإنترنت والجوّال والألعاب الإلكترونية قد أضعفت القدرة على التركيز لدى الناشئة، وجعلت معظم اهتماماتهم قصيرة الآجال، وهذا مضادّ لكل عمليات التثقف الرصين، ومن هنا فإن على الأسرة ألاّ تسمح بدخول "الكتاب" في منافسة مع الأدوات الإلكترونية؛ لأن هزيمة الكتاب ستكون حينئذ محقّقة، ولهذا فإن من المهم جداً ألاّ يُسمح للأطفال باستخدام "النت" والجلوس أمام التلفاز... إلاّ مدة ساعة أو ساعتين يومياً، وحينئذ سنجد أن الأطفال يتجهون إلى قراءة القصص والروايات والكتب بوصفها المخرج الوحيد من الملل والسأم، ومع الأيام يشعرون بمتعة القراءة وتتعلق قلوبهم بالكتب.

إن صغارنا سيتملكون الرغبة في القراءة حين ندرك نحن الكبار أن مسؤوليتنا تجاه تثقيفهم وتغذية عقولهم لا تقل عن مسؤوليتنا في تغذية أجسامهم؛ وعلى الله قصد السبيل.

المعلم الفعال ذو الهمة واثره على الطالب

ذ. فهد الغاني

أي معلم يستطيع أن يصبح ذا إنجاز مرتفع ،وذلك عندما يؤثر إيجابياً على حياة طلابه،ويستطيع ذلك من خلال اختياره، فالاختيار يجعل رد فعله إيجابياً نحو التحديات التي تواجهه.

هذا السلوك (الاختيار) يعتبر الاستراتيجية الأولى التي يمكن للمعلم تعلمها و في الحقيقة يجب أن يتعلمها،لأن مستقبل الأمة يعتمد عليه (أي على المعلم) وذلك لأهمية وظيفته ،والاستراتيجية الثانية هي اعتقاد المعلم بقدراته،فإذا اعتقد المعلم أنه يستطيع فعل (....) فإنه سيستطيع بإذن الله أما إذا اعتقد بأنه لا يستطيع فهو فعلاً لن يستطيع.

إن اعتقاد المعلم بقدرته على التغير تنبع من إيمانه بقدراته الشخصية وبأنه يستطيع أن يعمل تغيراً كبيراً في حياة طلابه.

إن المعلم الذي يطلق عليه ذو همة((إنجاز عالي)) هو المعلم الذي يستطيع إخراج أو إظهار القدرات المميزة عند طلابه،والذي يتغلب على التحديات التي تقابله بفعالية والذي يرجع على منزله وهو في قمة الرضا والسعادة بنفسه وبإنجازاته، والذي يقول لنفسه (دائماً) أنا هنا من أجلهم فإذا لم أستطع التواصل معهم فمن الذي سيفعل ذلك؟أنا مهتم بهم،وقلق عليهم،أريد تعليمهم،أريد منهم أن يثقوا بي وبالطرق التي استخدمها معهم،والذي ينظر إلى عيونهم الصغيرة ويتخيلهم يقولون له((لو سمحت ساعدنا))ولهذا السبب فقط أنا معلم.

هناك حقيقتان تقود المعلم إلى الفعالية

الأولى: كل طالب يستطيع أن يتعلم بإذن الله.

الثانية: وأن كل معلم لديه القدرة على تعليم كل طالب بالفصل.

المعلم الفعّال هو الذي:

- من خلال تشجيعه للطالب يستطيع أن يخرج كل القدرات التي يمتلكها ويظهرها على هيئة سلوك إيجابي.
- يحول فشل الطالب إلى نجاح مهما تطلب ذلك من جهد ووقت إي المعلم الذي لا يفقد الأمل في طلابه.
- يستطيع التعامل والتواصل مع طلابه ويتقبلهم كما هم وذلك لأنه يحترمهم ويقدر خصوصياتهم وإمكاناتهم الفردية.
- يعطي القليل من نفسه لكل طالب حيث أن الطلاب يرغبوا في التعامل معه.

خصائص المعلم الفعّال (صاحب الإنجاز المرتفع).

- لديه رؤية واضحة ومحددة:أي يعرف تماماً ما الذي يريد أن يصل إليه في فصله كل يوم.
- لديه إيمان إيجابي بقدراته :أي لديه اعتقاد بأنه يستطيع العمل بنجاح مع طلابه وذلك لعمل تغير في حياة طلابه.
- يطور مهارات حل المشاكل : هذه المهارات التي تساعده على ابتكار وإنجاز الخطط التي تتغلب على التحديات المختلفة.
- إدراكه بأن الاختيارات التي يقوم بها هي التي تؤثر على نجاحه.
- تعلم كيف يبني علاقات إيجابية مع طلابهم بصرف النظر عن مدى تفوقهم وسلوكهم.
- وأيضاً تعلم كيف يبني علاقات إيجابية مع الأهل والتي تجعله يقدر الجهد الذي يقوم به الأهل مع أبنائهم في المنزل.
- الذي يحافظ على ردود الأفعال الإيجابية مع طلابه،والذي يعرف أن رد الفعل السلبي يعوق تعلمهم.
- الذي يقدر احتياجه لفريق مساعد يسانده بإيجابية.
- الذي تعلم كيف يخطط ويدير وقته وجهده ليستثمر مهاراته ومصادره.

إن تعلم تلك المميزات أو الاستراتيجيات الخاصة بالتدريس الفعّال ما هو إلاّ تطوير عادات جديدة في الاعتقاد وفي الشعور وفي الأفعال ولكن المشكلة هي أننا عندما نتعود على عمل ما فإننا نستصعب التغير.

الخلاصة:

الذي يجعل المعلم صاحب إنجاز مرتفع ودافع أكثر للعمل هو التغير أي عليه أن يدرك بأن ما كان يفعله سابقاً يجب أن لايستمر في المستقبل ، كما عليه أن يدرك أنه باستطاعته تعلم حلول جديدة لمواجهة التحديات ولا ينسى أنه يستطيع:

- تغير حياته من خلال اختياراته الدائمة.
- التعلم ليصبح أكثر نجاحاً.
- أن يقوي نفسه لعمل تغيرات في فصله يومياً.
- أن يختار لعمل هذا التغير.

ليكون المعلم فعالاً هذا يرجع لاختياره ولكن لا تنسى أنت مدين لطلابك بهذا الاختيار والأهم أنت مدين لنفسك بهذا الاختيار.

إشراقة

اختيار الأكفان من أحسن الألوان

ذ. عبد الحميد صدوق

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»(رواه أبو داود، والترمذي وقال حديث حسن صحيح).

وعن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم»(رواه النسائي، والحام وقال حديث صحيح).

لقد كرم الإسلام الإنسان حيا وميتا، والمراد بالكفن الأبيض أي : الأطيب كما قال العلماء : هو النظيف النقي الكثيف ليستر الميت ويكون من جنس لباسه في الحياة لا أفخر منه ولا أحقر.

قالوا : وليس المراد بإحسانه السرف فيه والمغالاة في نفاسته. وذهب الجمهور إلى استحباب الكفن الجديد مستدلين بحديث أبي سعيد رضي الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جديدة فلبسها ثم قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها»(رواه أبو داود وابن حبان والحاكم).

وقد أجمع العلماء على استحباب تكفين الموتى في الثياب البيض، لأنها أطيب وأطهر ولأن أي شيء وقع عليه يظهر فيمكن غسله وخاصة إذا كان من نوع النجاسة، وهذا ما يجعلها دائما أطيب وأطهر، وقد قال ﷺ في الدعاء : «ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كُفِّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة» (متفق عليه)، "سحولية" بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين : ثياب تنسب إلى سحول : قرية باليمن و"الكرسف" القطن.

قولها رضي الله عنها : «كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب» قال العلماء : السنة في الكفن ثلاثة أثواب للرجال، والواجب ثوب واحد، والمستحب في المرأة خمسة أثواب، ويجوز تكفين المرأة في الحرير، ويحرم على الرجل، وكره مالك التكفين في الحرير مطلقا، قال ابن المنذر : ولا أحفظ خلافه.

وقد أجمع المسلمون على وجوب تكفين الميت من ماله، فإن لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته، فإن لم يكن ففي بيت المال.

قولها : «سحولية" قال ابن الأعرابي رحمه الله تعالى : هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من قطن.

قال الأزهري رحمه الله تعالى : «السحولية" بالفتح المدينة، وبالضم : الثياب.

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

الأخطاء اللغوية بين سَقَطات العلماء وتقصير المثقفين (5)

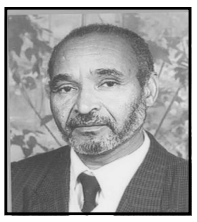

د. الحسين گنوان

ذيلنا هذه المرة العنوان العام الذي تعودنا أن نناقش تحته ما بدا لنا أن استعماله غير سليم من الكلمات التي جردناها من الفصل الثاني من كتاب اللغة العربية الصحيحة بعنوان فرعي هو : "عرض وتعليق" ونعني بالعرض مناقشة ما بقي من الأخطاء في الفصل المذكور. أما التعليق فسنحاول أن نجمل القول فيه عن كل ما ناقشناه -ومناقشه- من الأخطاء حتى الآن في هذا الكتاب، مع التنصيص ما أمكن على المستوى الذي يمكن تصنيف كل خطأ فيه من مستويات الدرس اللغوي العربي، أهو المعجم، أم النحو، أم التصريف... الخ مع عدم إغفال الهدف الذي يسعى المؤلف إلى تحقيقه من تأليفه هذا الكتاب بالعنوان الذي وضعه له : "العربية الصحيحة" ويتعلق الأمر بخصوص الأخطاء في هذه المرة بأربعة من حروف الجر، سنورد كل واحد منها في السياق الذي أورده فيه المؤلف، بعد أن نوضح ولو بإيجاز الوظائف العامة والخاصة لحروف المعاني التي تعتبر حروف الجر منها فكيف ذلك؟

حروف المعاني : معانٍ ووظائف : حروف المعاني تشترك في وظيفة (تركيبية) عامة، ثم ينفرد كل نوع منها بوظيفته التي تحدد مجاله الدلالي فقط أو الدلالي والتركيبي، ويختص كل حرف ضمن نوعه بوظيفته الخاصة به، أو عدة وظائف، فثمة مجال عام تشترك فيه كل حروف المعاني، وهناك مجالات متنوعة حسب تنوع حروف المعاني بحيث يختص كل نوع منها بمجاله وأخيرا استعمال كل حرف ضمن نوعه في وظيفته الخاصة، أو عدة وظائف حسب السياقات التي يرد فيها، ونوضح بإيجاز هذه المجالات بأمثلتها ما أمكن -بعد أن نميز بين حروف المباني وحروف المعاني- فيما يلي:

حروف المعاني غير حروف المباني، فحروف المباني هي التي تتألف منها الكلمات التي ننطق بها سواء كانت أسماء مثل محمد، وعلي.. أم أفعالا مثل كتب، وفهم، أم صفات مثل واقف، وسعيد، فكل كلمة من بين الكلمات المذكورة تتألف من مجموعة من الحروف تسمى حروف المباني، وليس هذا هو النوع المقصود عندنا في هذه المقالة، وإنما الذي نعنيه هو النوع الثالث من أنواع الكلمة في اللغة العربية، لأن أنواع الكلمة في اللغة العربية ثلاثة هي : الاسم، والفعل، والحرف. وهذا الحرف هو الذي يسمى حرف معنى. وهو عبارة عن حرف واحد مثل "ب" أو حرفين مثل "من" و"عن" و"في" وقد يتألف من ثلاثة أحرف مثل "ليت" و"لكن"... **وسميت حروف المعاني لأن كل واحد منها له معنى يدل عليه في التركيب أو عدة معانٍ حسب السياق الذي يرد فيه.**

ونلخص وظائف هذا النوع من الحروف العامة والخاصة كما يلي :

أ- الوظيفة العامة التي تشترك فيها كل أحرف المعاني هي الاختصار أي اختصار الكلام في اللغة العربية، فكل حرف منها ينوب (في الغالب) عن جملة في سياق معين، وهذه الجملة المضمرة في أي حرف من حروف المعاني تفسرها وتوضحها تسمية الحرف عند إعرابه. فنحن عندما نعرب كل حرف من أحرف المعاني التالية في تراكيبها : ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي لغفور رحيم﴾(يوسف : 53). ﴿ولكنا حملنا أوزار من زينة القوم فقذفناها..﴾(طه : 87) و ﴿ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾(القصص : 79). فنحن نعرب حرف "إن" : حرف توكيد "ولكن" حرف استدراك.. و"ليت" حرف تمن، وعليه يكون معنى "إن" : أأكد، و"لكن" : أستدرك، و"ليت" : أتمنى. ومعلوم أن هذه الكلمات التي نابت عنها الأحرف أفعال، وكل فعل لا بد له من فاعل، وهذا الفاعل إما أن يكون منطوقا (ظاهرا) مثل كتب محمد ونجح سعيد، وإما أن يكون مستترا أي غير ظاهر، لكنه يفهم من الفعل كما هو الشأن في الأفعال المذكورة أعلاه التي قلنا إن أحرف المعاني تنوب عنها. ذلك أن نظام اللغة لا يسمح بوجود فعل بدون فاعل ظاهر أو مستتر: وفي هذا يقول ابن مالك

وبعد فعل فاعل فإن ظهر
وإلا فهو ذو ضمير استتر

وعليه يمكن القول بأن كل فعل فسر به حرف من أحرف المعاني في إعرابه يتضمن فاعلا يكوِّن معه جملة فعلية. ولذا قلنا إن أحرف المعاني تنوب عن الجمل، **وهذه هي الوظيفة العامة التي تشترك فيها كل أحرف المعاني، وهي وظيفة اختصار الكلام، وهي أشبه بوظيفة الضمائر وياء النسب.** ولذا قيل :

الاختصار جلُّ مقْصُود العَرَبِ
لذَا اتَوْا بمُضْمَرٍ وبالنَّسَبْ

وفي هذا السياق يقول ابن جنى "...قال أبو بكر : حذف الحروف (ويعني حروف المعاني) ليس بالقياس. قال : وذلك **أن الحروف إنما دخلت الكلام "لضرب من الاختصار"** هو أنك إذا قلت : ما قام زيد، فقد أغنت(ما) عن "أنفي) وهي جملة فعل وفاعل، وإذا قلت : قام القوم إلا زيد، فقد نابت (إلا) عن (أستثنى) وهي فعل وفاعل وإذا قلت : ليت لي مالا، فقد نابت (ليت) عن (أتمنى)، وإذا قلت أمسكت بالحبل، فقد نابت الباء عن قولك : (أمسكته مباشرا له، وملاصقا يدي له، وإذا قلت : أكلت من الطعام، فقد نابت (من) عن البعض، أي أكلت بعض الطعام وكذلك بقية ما لم نسمه." (الخصائص 2/274-273. وهذا ما نعنيه بالوظيفة العامة لأحرف المعاني.

ب- الوظيفة الخاصة - العامة : نظرا لتنوع أحرف المعاني فإن لكل نوع وظيفته الخاصة بالنظر إلى علاقته بأحرف المعاني ككل، وتكون هذه الوظيفة عامة في ذات الوقت باعتبار ما ينضوي تحت كل نوع من أفراد. **فثمة أحرف للنداء** مثل : يا، وأيا، وهيا، **وأحرف للإضافة** (الجر) مثل الباء، ومن، وفي، وعلى.. **وأحرف للعطف** مثل الواو، والفاء، وثم.. فكل أحرف كل نوع تشترك في الدلالة على ذلك المفهوم، وعليه يكون المفهوم عاما بالنسبة لتلك الأنواع من الحروف وهو خاص بالنسبة لعلاقته بحروف المعاني عامة. وعليه يمكن القول بأن **ثمة وظائف نوعية تحددها تسمية كل نوع لما ينضوي تحته من الحروف التي قد تقل أو تكثر، فثمة وظيفة للنداء، وأخرى للعطف وثالثة للاستفهام وهكذا تحدد هذه الوظائف أنواع أحرف المعاني التي تتجاوز خمس عشرة وظيفة حسب ما ورد في بعض المراجع فقط.**

حـ- الوظيفة الخاصة : كل حرف ضمن مجموعة نوعه يختص بوظيفة دلالية، أو عدة وظائف، لا يشاركه غيره فيها من حيث أصل الاستعمال فحروف العطف مثلا تشترك في إفادة العطف، لكن كل واحد منها يتميز بدلالة خاصة في سياق العطف. فالواو المطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، والفاء للترتيب مع التعقيب، وثم الترتيب مع التراخي وهكذا بقية أحرف كل نوع في مجاله.

والنتيجة التي نريد أن نصل إليها هي **أن من أخطأ في استعمال حرف من أحرف المعاني، يكون خطأه مركبا، بناء على ما مضى من الوظائف، لأنه يحتمل الخطأ في الاختزال، وفي دلالة النوع، ثم دلالة الحرف الخاصة،** وهذا ما ينطبق على ما نرى أن استعماله غير سليم مما ورد منه عند مؤلف كتاب اللغة العربية الصحيحة في الفصل الذي نناقش ما ورد فيه من أخطاء، ونعرض نماذج منها كما وردت عند المؤلف كما يلي : يقول :

1- "... ولهذا نجد كثيرا من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية.. إذا سئل (في) كتابة سطرين إلى أخيه.. أو شكوى ظلامة أخطأ فيها (عن) الصواب..." ص28 س 22-18.

2- "التركيز على تنمية المهارات اللغوية العربية، وهي فهم اللغة منطوقة ومكتوبة والتعبير الشفوي والكتابي (عنها) ص 29 س 7.

3- "محاسبة الطالب في كل فرع من فروع اللغة العربية... حتى لا يتخرج (في) قسم اللغة العربية إلا من يتمكن من هذه اللغة تمكنا تاما" ص 29 س 13-12.

4- ثم تعرض البحث لفروع النقد والبلاغة الذي لا يميل إليه الطلاب وعلل ذلك بما يلاحظ في منهج هذه المادة من عموميات لا تأخذ (في) الاعتبار حالة الطلاب الثقافية..." ص 30 س8-7.

5- وانتهى الباحث إلى وجوب إعادة النظر في خطط إعداد المعلم وأوصى بضرورة إجادة اللغة العربية كتابة وقراءة وتحدثا (في) كل من يقوم بالتدريس..."(ص 30 س 13-10).

6- إعداد النصوص للتسجيل في معمل اللغات للاستفادة (بها) في تدريب الطلاب على السماع والتذوق" ص 31 س 12.

ونحن نزعم أن حروف الجر الواردة في النصوص أعلاه مما وضعناه بين قوسين مستعملة في غير ما يناسب وظائفها الخاصة التي ترد لها ونشير في هذه المرة إلى ما يمكن أن يعتبر صوابا في استعمال كل حرف من ا لحروف المذكورة. على أن نعود إلى الموضوع بتفصيل إن شاء الله. لأن الأمر يقتضي دراسة المسألة من جانبين : أولهما عرض أقصى ما يمكن من دلالات كل حرف وثانيهما مدى صلاحية علاقة كل فعل بالحرف الذي عدي به في الاستعمال العربي الصحيح. وقبل هذا يمكن أن نقول في التصحيح الأولي : إذا سئل عن كتابة سطر بدل في.. والتعبير الشفوي بها بدل عنها ... وحتى لا يتحرج من قسم اللغة.. بدل في.. ولا نأخذ بعين

بِنَبْضِ القلب

بين الشمال والجنوب

1-**جنوب :**
أعرف أن المآسي لا تستقر إلا في الجنوب... وأن القمع لا يعربد إلا في الجنوب، وأن بحبوحة الشمال توقرها سواعد الجنوب... لكن الذي يحز في النفس أن يصبح ساسة الجنوب نعالا لساسة الشمال، وأن يصبح مثقف الجنوب ذيلا لمثقف الشمال... يسافر حكام الجنوب للاستحمام في منتجعات الشمال، ويموت إنسان الجنوب تحت وقع النعال.

2-**شمال :**
أعرف أن العطور تنبعث كلها من الشمال... وأن شفرات الحلاقة تأتينا من الشمال... وأن بقرات الجنوب تحلب ليرضع أطفال الشمال... وأن الديمقراطية أمست حكرا على إنسان الشمال، وأن طيور الجنوب تهفو إلى أوكار الشمال، لتقتلها عنصرية الشمال... وأن الرصاص الذي يحصد رقاب أهل الجنوب توفره مدينة الشمال... وأننا لا نحب الرقص إلا على نغمات الشمال.

3-**شمال جنوب :**
أدنو من الجنوب فيرتد الطرف حسيرا...
أرنو نحو الشمال فيرتد الفؤاد كسيرا.. ياليت شعري إلى متى يظل الجنوب أسيرا؟!
ألا يا رياح الجنوب هبي بنسمة خلاص تحيي روح الشمال، واحرسي قيم الكون من فلسفة الضلال.... هي صحوة ندية تشعِل فينا ألق السؤال.

ذ. أحمد الأشهب

اللغة.. والأدب.. والتاريخ

أ. د. عماد الدين خليل

يبدو أن كثيراً من المتعاملين مع "التاريخ" من الطلبة وعدد كبير من الدارسين والمدرّسين، بل حتى الأساتذة، لا يملكون الإلمام الكافي باللغة، ولا يعرفون شيئاً يذكر عن الأدب في سياقاته المختلفة، ومن ثم تجيء بحوثهم وهي لا تملك سلامتها اللغوية ولا الحدّ الأدنى من جماليات الأسلوب الضرورية في الخطاب التاريخي.

والحق أن العلاقة بين اللغة والأدب وبين التاريخ ليست حالة بسيطة، أو وجهاً واحداً، أو صيغة مسطحة، إنما هي علاقة مركبة متشابكة سنكتفي بالتأشير على بعض جوانبها في صيغة خطوط عريضة حيث لا تسمح زاوية كهذه بتقديم التفاصيل.

أولاً: اللغة والأدب خبرة معرفية تسهم في تشكيل الفعل التاريخي- الحضاري، وهي تندرج في سياق العلوم الإنسانية لتمييزها عن العلوم الصرفة أو التطبيقية.

إن دراسة تاريخ اليونان، أو الثورة الفرنسية، أو التاريخ الأندلسي -على سبيل المثال- لا تستكمل أسبابها دون دراسة اللغة والأدب في البيئات المذكورة.

ثانياً: اللغة والأدب خبرة ثقافية تساعد في تأصيل الفعل الحضاري ومنح الحضارات خصائصها وتميّزها.

إن دور الأدب الرؤيوي للوجود والمصير.. القصيدة العربية.. آليات اللغة.. صيغ التعبير.. التقنيات الإبداعية.. طرائق الخطاب، لمّا يميّز أمتنا ثقافياً وبالتالي حضارياً.

ثالثاً: الأدب صيغة ذات حساسية خاصة في التعبير عن الوضع التاريخي والحضاري، وهي تعكس بتقنيّاتها الكثير من مفردات الفعل التاريخي والحضاري. إن دراسة الواقعة التاريخية كدولة (مثل الدولة الحمدانية) على سبيل المثال، أو كحلقة حضارية (مثل النهضة الإيطالية)، أو كتجربة سياسية - عسكرية (مثل الحروب الصليبية) لا تتحقق دون الرجوع إلى أدباء كأبي فراس والمتنبّي ودانتي والعماد الأصفهاني.. إلى آخره.

رابعاً: اللغة والأدب من الأدوات المساعدة أو الموصّلة للحقيقة التاريخية، لا يمكن الاستغناء عنها، مع ضرورة الحذر من إشكالية التداخل في المعطى الأدبي بين الذات والموضوع.

خامساً: بالانتقال من العام إلى الخاص نجد كيف تصير اللغة والأدب من الأدوات الضرورية للتعبير في نطاق البحوث الخاصة.

فاللغة تمنح صياغة البحث التاريخي سوّيته المطلوبة، والأدب يمنح المؤرخ حساسية حادة وخيالاً نافذاً لتجاوز ظواهر الأشياء والأحداث والشخوص والخبرات صوب الجوهر والمغزى ومقاربة الحقيقة التاريخية.

إن معضلة الكثيرين من طلبة الدراسات العليا في التاريخ، والعديد من التدريسيين والباحثين فيه أنهم لا يملكون أسلوباً محكماً في التعبير ولا قوة خيال تمكنهم من تجاوز الثغرات. إنهم -إذا استخدمنا عبارة أزوالد شبنغلر- لا يزيدون عن أن يكونوا منظّفي أتربة أكاديميين.

سادساً: يلتقي الأدب مع التاريخ في تعامله مع الزمن ومحاولة تغطية امتداداته الثلاثة، الماضي والحاضر والمستقبل، كل بأسلوبه الخاص.

سابعاً: يعتمد الأدب -بأنواعه- على الواقعة التاريخية في مساحات واسعة من أنشطته الإبداعية (من مثل ملحمة الإلياذة وقصائد أبي تمام والبحتري، ورواية (الحرب والسلام) لتولستوي) إلى آخره.

ثامناً: تاريخ الأدب كما يدلّ عليه اسمه، عمل في التاريخ، وبأدوات البحث التاريخي، بعد إضافة النصّ الإبداعي إليها.

تاسعاً: الأدب يعد مورداً خصباً للتوثيق الذي يخدم الحقيقة التاريخية ويصونها من الضياع، وذلك بسبب قدرة الذاكرة البشرية على استيعاب النّص الإبداعي.

عاشراً: يمثل فن الترجمة والسيرة الذاتية لقاءً حميماً بين الأدب والتاريخ بسبب تداخل المفردات في الحقلين.

وأخيراً، فإن المؤرخ الكبير هو -بالضرورة- لغوي وأديب كبير بما تمنحه إياه اللغة والأدب من أدوات عمل وخلفيات ثقافية وتمرين عقلي تمكنه -جميعاً- من أداء عمله بأكبر قدر من الإتقان والإبداع، وبما يمنحه البحث الجاد في التاريخ من إلمام بمطالب التعبير وطرائق الخطاب الأدبي.

الحرية

ذ. فتح الله كولن

الحرية هي عدم قبول الروح سوى المشاعر العلوية والأفكار السامية، ولا تعني الإسار لأي مبدأ سوى مبدأ الخير والفضيلة.

كم من إنسان مغلول بالقيود والسلاسل ولكنه يستطيع الطيران حراً في سماء قلبه وضميره ولا يحس لحظة واحدة بأنه في الحبس وفي السجن. وكم من إنسان يعيش في قصور فخمة ولكنه لم يعرف الحرية الحقيقية ولم يذق طعمها في أعماق نفسه.

الذين ينظرون إلى الحرية وكأنها تعني الانطلاق دون أي ضوابط لا يدرون بأنهم يخلطون بين الحرية الحيوانية وبين الحرية الإنسانية. وبينما شعار الحرية الذي يرفعه الذين يتهالكون لتحقيق الشهوات الجسدية ليس إلاّ شعاراً حيوانياً، نرى أن الحرية التي تسعى لإزالة العوائق أمام الروح لكي تسمو وتحلق في الأعالي... مثل هذه الحرية شعار إنساني وعلامة على الماهية الإنسانية.

الحرية هي تحرر الفكر الإنساني من كل قيد يمنعه من الرقي المادي والمعنوي بشرط عدم السقوط في وهدة اللامبالاة أو الانفلات من الشعور بالمسؤولية.

الحرية بالنسبة للإنسان هي الارتباط بالفكر الحق، وعمل ما يرغب فيه بشرط عدم إيذاء الآخرين.

الحرية المعقولة هي الحرية المدنية، وهي الحرية المربوطة بالسلسلة الماسية للأخلاق والدين وبالطوق الذهبي للتفكير السليم.

الحرية التي لا تعطي أهمية للشعور الديني وتشجب الفكر الديني، ولا تعطي قيمة للأخلاق ولا تكون مشتلاً للفضيلة... مثل هذه الحرية داء وبيل تنفر منه الأمة وتهرب منه هربها من الطاعون. وكل أمة تبتلى بمثل هذه الحرية ستفقد أمنها عاجلاً أم آجلاً، وتفقد أصدقاءها ومحيطها ومن حواليها.

بارقة

الدولة المغربية بين حصانة الإسلام وتخريب الإلحاد

أ.د. عبد السلام الهراس

لقد سجل التاريخ ميلاد الدولة المغربية عندما ارتضى الشعب المغربي الإسلام دينا ومن ثمَّ بدأ يبني نفسه وانطلق يضم لذاته عناصر أخرى بعد أن يطهرها من أدرانها الوثنية ومعوقاتها الشهوانية ومتاهاتها الخرافية وذلك بالتوحيد الخالص وبالعبادة الصحيحة وبالعقلية العلمية الناصعة. وهكذا أصبح المغرب دولة عظمى لا بِعددها وعُددها ولكن بحضارتها وعلومها وسمو أخلاقها ونبل رجالاتها وشرف نسائها وامتدت حضارة الإسلام بنكهة مغربية من أعماق افريقيا إلى حدود الاسكندرية بل إن اشعاع هذه الحضارة أضاءت العالم كله، وقد كان إخواننا السودانيون يرددون هذه المقولة وهي شهادة نعتز بها : "يا فاس ياما وراها ناس"

أي أن فاس يعني المغرب هي معدن الناس وإن أتيتها يكفيك أهلها فليس وراءهم ناس!!

ولامتزاج الدم المغربي وعقله وروحه ومزاجه بل ونفسه بالإسلام وبمذهب إمامنا مالك رضي الله عنه رفض كل دين وكل نحلة بل كل مذهب فقهي سني مع احترام أصحابها واعتزازه بهم وبأخلاقهم وسيرتهم لذلك لم يجد مذهب العبيديين بيئة لهم بالمغرب فارتدوا على أعقابهم خاسئين كما اندثرت البرغواطية وبادت نحلة العكاكزة بل حتى التصوف رفض المغاربة التصوف الفلسفي ذا الشطحات وارتضوا التصوف المبني على السنة والعلم بالشرع بإمامة الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي مات شهيداً دفاعاً عن السنة فهو الذي أجاب بقوله : أنبي أنا؟ لمن سأله أن يعطيه ورداً وقال : وردنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

إن الانتصارات المغربية الكبرى كان يقودها العلماء والفقهاء وحتى الوطنية انطلقت من القرويين وغيرها من جوامع العلم، ومساجد العبادات فالمفخرة الإسلامية في القرن الرابع عشر (القرن العشرين الميلادي) الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله كا ن من علماء القرويين وكان قاضيا ثم قاضي القضاة وعندما حاول الفرنسيون التفرقة بين المغاربة كان الأمازيغ أول من تصدى لمحاربة ذلك ومواقف إخواننا بالأطلس وبزمور وأزرو مشهودة ومشهورة..

إن هذه الروح الإسلامية الوثابة والعميقة والراسخة هي التي حمت الدولة الإسلامية المغربية ولولاها لكان الكيان المغربي في خبر كان!! لكننا لاحظنا معاول الإلحاد وهدّامات الانحلال تهاجم الإسلام ورجاله وتعاليمه، وقد كان ذلك بالأمس القريب بلافتات ايديولوجية أما اليوم وقد تمزقت اللافتات وسقطت الأقنعة فأصبح التخريب والتهديم والتقويض باسم مؤتمر بكين ومؤتمرات باريس وواشنطن ومواثيق الأمم المتحدة ولاسيما أيام دي كويار وبطرس وأنان.. وأصبح الإعلام المخرب يشجع كل من يهاجم الإسلام ورجالاته.. بل إن حياتنا تسير إلى الأسوء في العلاقات الأسرية والاجتماعية وتتدهور أخلاقنا تدهوراً مخيفاً وهذا كله يجعل علاقة الأجيال المقبلة بمجتمعها ودولتها متوترة وسيئة لأن عوامل الولاء تغيض وعوامل السخط والتمرد تفيض، وجلّ إعلامنا والإعلام الخارجي يغذي الغرائز البهيمية ويُغري الشباب بالفاحشة وانتهاك الحرمات ورفع حجاب الحياء.

إن من يُعادي الله ورسوله ويكره الإسلام ويُرضيه الطعن فيه لا عليه الوثوق به والاعتماد عليه فالأمة تنهار بمثل هؤلاء.. وإن مَن يبيع آخرته بدنياه يسهل عليه أن يبيع وطنه ودينه بأبخس الأثمان وأحط الحوافز!!

فأين نحن الآن من ديننا الذي رفعنا الله به ومن مذهب إمامنا مالك الذي وحد شعبنا ومتّن روابط أسرنا وجعل من علمائنا أئمة أعلاماً ومن أرجح الأنام عقولاً وأفهاما.

وبعد فآه لو بُعث إمامنا مالك -ولا أقول رسول الله ﷺ- وشاهد وسمع وقرأ وجال واطّلع وخالط فهل سيعتز بحاضرنا كما اعتز بماضينا وأسلافنا؟ وهل سيصدقنا أننا على مذهبه وعلى سنة نبيه التي أوصلها الينا طرية ندية؟

الجواب واضح ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾

وإن من يبيعك ضميره وشرفه وكرامته ومبادئه لا يستنكف أن يبيع سلعته تلك لمن يدفع أكثر مثلما تفعل مافيات القتل التي تذهب لقتل خصم صاحبهم الذي دفع مبلغا من المال فإذا بهذا الخصم يدفع أكثر لاغتيال صاحبه الأول فيرتدون على أعقابهم فوراً لاغتياله قائلين له إن خصمك دفع أكثر.